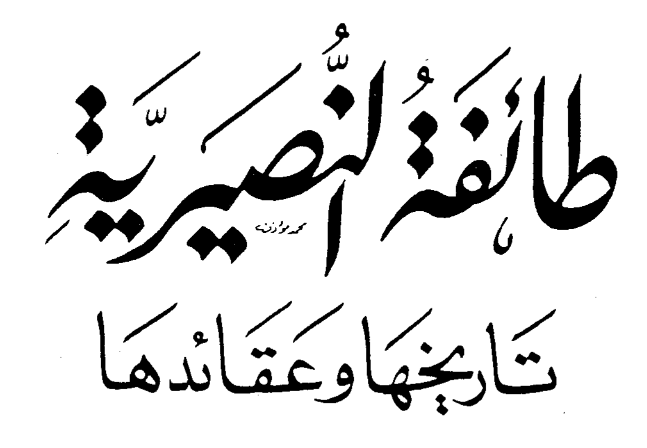

تأليف

الدكتور سليمان الحلبي

الدار السلفية

الطبعة الثانية
١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م

الناشر
الدار السلفية

حولي ــ شارع تونس
مقابل محافظة حولي
تلفون : ٢٥١٧٤٢٠
ص.ب : ٢٠٨٥٧ الصفاة ــ الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

واجه الإسلام بعد انتشاره شرقاً وغرباً عقائد كثيرة كانت منتشرة فى مناطق مختلفة ، ومع كل ذلك . . كان الإسلام يندفع كالسيل جارفاً أمامه كل الأوهام والخرافات التى حشيت بها تلك العقائد الزائفة . . فرأى أصحاب هذه العقائد أن كيد الإسلام على الحيلة أنجع . . فأظهر قوم منهم الإسلام ، وانضووا تحت لواء التشيع ومحبة آل البيت – رضوان الله عليهم – ترويجاً لمزاعمهم ، وأملا فى التمكن من إفساد عقيدة المسلمين وبلبلة أفكارهم والنيل من وحدتهم . . فيثأروا بذلك لمعتقداتهم البالية ، ولشعوبهم المغلوبة المقهورة . . ومن أبرز هؤلاء الذين استغلوا اسم الإسلام . . وارتدوا لباس التشيع . . ولا هم لهم سوى هدم الإسلام والإتيان عليه من القواعد . . طائفة النُّصيرية .

وقد شاء الله لى أن أخالط نفراً من أبناء هذه الطائفة حيث يقيمون . . وفى معاهد العلم . . فعرفت شيئاً عن مذهبهم الفاسد . . ثم رجعت إلى كثير من المصادر التاريخية وكتب الفرق التى تعرضت

لذكر هذه النحلة الضالة . . فتكونت لدىَّ طائفة من المعلومات ، وهى وإن كانت قليلة إلا أنها تعطيك صورة واضحة – شيئاً ما – عن هذه الطائفة ، فلم أشأ أن أحتفظ بها لنفسى . . بل أحببت أن يشاركنى إخوانى من أبناء الإسلام – الذين يهمهم الأمر – فى معرفتها وخشية من قول الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم : « من كتم علماً يعلمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » . وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا تؤتينَّ من قِبلك » .

لذا رأيت من الحق الذى يجب أن أصدع به ، أن أكشف الأستار عن حال هذه الطائفة . . وأتبين للناظرين شيئاً من ترهاتهم وأباطيلهم . . حتى يتكاتف المسلمون فى التصدى لهم . ولست أدعى أننى أتيت بالترياق من العراق – كما يقولون – إنما هى محاولة قمت بها على قدر اجتهادى ، لعل هناك من يكمل ما قمت به . . فيقوم بواجبه فى تفنيد مزاعمهم والكشف عن باطلهم ، وبيان الوقاية من شرهم . . لاجتثاث باطلهم من جذوره .

والله نسأل أن يجعلنا من الدعاة المناضلين عن الحق وأهله . . والمناهضين للباطل وحزبه . . والله متم نوره ولو كره الكافرون .

العاشر من شهر رمضان ١٣٩٩هـ
الموافق للثانى من شهر آب ١٩٧٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، ولم يعين من يخلفه ، ولو نص على ذلك لما خفى ، إذ كان الرسول عليه الصلاة والسلام صريحاً فى تبليغ الرسالة لا يهاب أحداً . . وإلا لما بلغ رسالته ، فلم يكن بحاجة إلى الإيماء من طرف خفى أو التعريض والتلميح والإشارة ، فإذا أراد شيئاً أعلنه من فوق منبره بوقت تكون فيه الصلاة جامعة ، بكل صراحة ووضوح ، وبكل صرامة وقوة وشدة ، ويفرضه على المسلمين فرضاً يسمعه القاصى والدانى ، فتسير بذكره الركبان ، وتتناقله الأفواه ، وتلوكه الألسن ، ولا يعقل أن تخالف الصحابة رضوان الله عليهم ، أمراً رغب فيه ، وحث عليه ، وأوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يكتمونه جميعاً (١) .

---

(١) يدعى الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى لسيدنا على – كرم الله وجهه – بالخلافة من بعده ، ولو كان ذلك صحيحاً لما قالت الأنصار (وهم يومئذ شطر المسلمين أو أكثرهم مع أمانتهم على دين الله تعالى ، وعلمهم بالكتاب والسنة) عند وفاة النبى صلى الله عليه وسلم : منا أمير ومنكم أمير .. فلو كان قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أمر . ما كان أحدا أعلم به منهم ، ولا أخلق =

وقد كان خلاف الإمامة . . هو أول خلاف حصل بين أبناء الأمة الإسلامية ، فى الصدر الأول . . اختلف المهاجرون

= بقوله منهم أيضاً .. بعد الذى ظهر من احتمالهم فى جنب الله تعالى ، والجهاد فى سبيله ، والنصرة لنبيه صلى الله عليه وسلم مع الإيواء والإيثار بعد المواساة ، ومحاربة القريب والبعيد ، والعرب قاطبة ، وقريش خاصة ، ثم الذى نطق به القرآن من تزكيتهم وتفضيلهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم . . وهو القائل فيهم « أما والله ما علمتكم إلا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع » . ثم لم يكن هذا القول – منا أمير ومنكم أمير – من سفيه من سفهائهم ولا من رجل يحب الجاه والفتنة ، أو من ذى حمية يؤثر حسبه ونسبه على دين الله تعالى وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، بل كان من سيد مطاع ومن ذوى السابقة والفضل والحلم والنجدة والجاه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعنى به « سعد بن عبادة » . . فكيف يكون سبق من النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا أمر يوصى بالخلافة لعلى ويقوم الأنصار هذا المقام . . ويقولون ذلك المقالة » .

أما اعتمادهم على قول الرسول صلى الله عليه وسلم لسيدنا على : (أنت منى بمنزلة هارون من موسى . . إلا أنه لا نبى بعدى) لبيان أحقيته بالخلافة . . فهو فى غير محله . . لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ذلك تطييباً لخاطر سيدنا على لعدم إشراكه فى غزوة تبوك ، حيث أن كافة المسلمين اشتركوا فى هذه الغزوة إلا سيدنا على . . أبقاه الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة لأسباب إدارية . . وعندما تأثر سيدنا على لذلك . . قال له ذلك القول المشهور تطييباً لخاطره كما أسلفنا . . حيث لم يبق فى المدينة سوى النساء والأطفال وذوى العاهات والرجال من غير المؤمنين والمنافقين . . . .

انظر شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٨٥ ، الطبعة الثالثة .

وانظر أيضاً (الخطر المحيط بالإسلام) للجنرال التركى : جواد رفعت آتل خان ، ص ٤٧ .

وانظر رسالة (استحقاق الإمامة) للجاحظ ، على هامش الجزء الثانى من كتاب الكامل للمبرد ، ص ٢٦٩ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٤هـ .

والأنصار يوم السقيفة ، فقالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . .
فذكر المهاجرون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
القائل : « الأئمة من قريش » . فأذعن الناس ، وسكنت الثائرة ،
ووقى الله المسلمين شر الفتنة . فبايعوا الخليفة الأول بالإجماع . .
سوى جماعة من بنى هاشم و (أبو سفيان) من بنى أمية تأخروا
عن البيعة ، ثم بايعوا فيما بعد . ثم اختلف المسلمون بعد أن عهد
سيدنا (أبو بكر الصديق) رضى الله عنه ، إلى سيدنا عمر بن
الخطاب رضى الله عنه بالخلافة وقت وفاته ، ولكن سرعان
ما زال الخلاف بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « لو سألنى
ربى يوم القيامة لقلت : وليتُ عليهم خير أهلهم » . فسكنت
الفتنة ، وزال الشغب فبايع المسلمون الخليفة الثانى بالإجماع .

إلا أن الأعاجم المقيمين بالمدينة من يهود ومجوس ونصارى
تآمروا على الخليفة الذى فتح بلادهم ، وأذل ملوكهم ، وأباد
عروشهم .

ولقائل أن يقول : إن قادة العرب المسلمين أمثال : المثنى
ابن حارثة ، وخالد بن الوليد ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو عبيدة
عامر بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، وحذيفة بن اليمان ، ومعاوية
ابن أبى سفيان ، وغيرهم . . هم الذين قوضوا ملك كسرى ،
وزلزلوا عرش قيصر ، وهم الذين شادوا فى مدى عشر سنوات
ملكاً ضخماً . . انتظم الجزيرة والعراق وفارس والشام ومصر ،
ولكن . . ينبغى ألا ينسينا لألاء هذه الفتوح وما انعقد على مفارق

هؤلاء الأبطال المغاوير من أكاليل النصر والمجد ... إنهم ما كانوا يفعلون ما فعلوا ، ويبلون ما أبلوا . . لولا روح فياض غمرهم ، وعقل جبار سيطر عليهم ، وعزيمة ماضية صرفتهم ... هى روح عمر بن الخطاب وعقله وعزيمته (١) .

ولعلى لا أكون مسرفاً إذا قلت : إنهم جميعاً لم يزيدوا على أن يكونوا أعواناً وجنوداً لعب بهم عمر . . لعبته الرهيبة مع كسرى وقيصر . . وأنه فى حقيقة الأمر هو الفاتح الذى فتح الممالك ودوخ الأمصار ، وأقام الدولة العربية الإسلامية عالية الذرى ، ثابتة الأساس ، متينة البنيان . ورعى الله أبا الطيب المتنبى حيث يقول :

الرأى قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهى المحل الثانى
ولربما طعن الفتى أقــرانه ... بالرأى قبل تطاعن الأقران

لم يكن عمر رضى الله عنه ، قبل الخلافة بالجندى البارز بروز من ذكرنا من القواد . . وتعليل ذلك غير عسير . . لقد كانت سنة فى الجاهلية أصغر من أن تأذن له بغشيان الحرب . أما زمن النبوة والخلافة الأولى . . فكان سداد رأيه ، وشجاعته الأدبية آثر عند الرسول وعند أبى بكر من شجاعته الحربية . فكان عندهما أظهر فى مقام الرأى والمشورة منه فى مشاهد الجلاد

---

(١) انظر مقال (عمر الفاتح) ، مجلة الهلال ، عدد نوفبر ١٩٣٧ للأستاذ عبد الحميد العبادى .

والطعان ، على أن عمر كان ذا كفاية حربية ممتازة . . اكتسبها من حضور المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن تدبيره قتال المرتدين مع أبي بكر . وقد أدرك أبو بكر تلك الكفاية ، وود لو أنه انتفع بها انتفاعاً مباشراً . . فيروى أنه قال وهو على فراش الموت : « وددت أنى كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام ، كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق . . فكنت قد بسطت يدى كلتيهما فى سبيل الله » . فقد عدّه أبو بكر . . عدل سيف الله خالد . . وضريعه ، وكفى بذلك دليلا على رسوخ قدمه فى فن الحرب ، وكفايته فى شئون القتال . فلما ولى عمر الخلافة . . ظهرت تلك الكفاية أيما ظهور . وأثمرت أيما ثمر . .

كانت كفاية عمر من ذلك الطراز العالى الذى يقوم على قوة التصور ، وسلامة الإدراك ، والإحاطة بطبائع البشر أفراداً كانوا أم جماعات . ينتخب الرجال ، ويعبىء الجنود ، ويرسم المواقع ، ويختط الخطط ، ويبعث رجلا بعينه إلى العراق ، وآخر إلى الشام ، وثالثاً إلى مصر . . ويأمر بالإقدام تارة وبالإحجام أخرى . . وينقل الإمداد من الشرق إلى الغرب ، ومن الغرب إلى الشرق ، فإذا ما أحكم الخطة ، واستكمل إعداد العدة ، قال لأصحابه فى هدوء الواثق بنجح مسعاه : « قد رمينا ملوك العجم بملوك العرب ، فانظروا عم تنجلى »[1] . فإذا ما أفلح سعيه ،

---

(١) انظر ص ٤٣ فى مجلة الهلال ، عدد نوفمبر سنة ١٩٣٧ .

وأثمر غرسه ، وجاءه نبأ الفتح والظفر تلقاه فى خشوع وإخبات وتواضع . . يزيده روعة وعظمة .

ويطول بنا القول لو ذهبنا نقيم البينة على صحة تلك الدعوى فى جميع ميادين القتال الذى نشب فى أيام عمر رضى الله عنه ، بين العرب والفرس والروم . . حيث نكتفى بالتدليل على صحتها فى مقام واحد هو وقعة القادسية سنة ١٤ هجرية . . المعدودة من أعظم وقائع العرب مع الفرس .

لما اشتد الأمر على العرب بالعراق بعد وقعة الجسر عام ١٣ هجرية التى أودت بقائدين عربيين هما : أبو عبيدة والمثنى ابن حارثة ، وصمم الفرس على طرد العرب من بلادهم . . قام عمر للأمر وقعد . . واهتم له غاية الاهتمام . فكتب إلى عماله على قبائل العرب وكورهم قائلا : « ولا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلىّ . . والعجلَ العَجَلْ . . ! » (١) .

فلما توافت إليه النجدات حار فيمن يُؤَمِّره عليها . . وهمَّ أول الأمر أن يسير فيها بنفسه إلى العراق ! ! ولكن ذوى مشورته ثنَوه عن ذلك ، ثم وفق إلى رجل لحظ فيه أصالة الرأى وتمام الشجاعة ، ويمن النقيبة فأمَّره عليها .

روى الطبرى فى تاريخه قال : « وكان سعد على صدقات

---

(١) الطبرى ج ٤ ، ص ٨٢ .

هوازن ، فبعث إلى عمر بألف فارس ، وكتب إليه كتاباً بذلك ، فوافى كتابه مشورته ، فقالوا : قد وجدته . . قال : من ؟ قالوا : الأسد عادياً . قال : من ؟ قالوا : سعد ! . فانتهى إلى قولهم . فأرسل إليه . . فأمره على حرب العراق . . وعقد له على أربعة آلاف معهم ذراريهم ونساؤهم ، وأتاهم عمر فى عسكرهم فأرادهم جميعاً إلى العراق ، فأبوا إلا الشام ، وأبى إلا العراق ، فسمح نصفهم فأمضاهم نحو العراق ، وأمضى النصف الآخر نحو الشام [1] » . وتحركوا صوب العراق . « فلما نزل سعد بشراف ، كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غضى إلى الجبانة . . فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابى هذا . . أمر على أجنادهم وعبهم ، وواعدهم القادسية ، واضمم إليك المغيرة بن شعبة فى خيله ، واكتب إلى بالذى يستقر عليه رأيهم [2] » .

ثم يكتب عمر إلى سعد بالمنازل التى ينزلها وبخطة الحرب وبميعاد تحركه قائلا :

« أما بعد : فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين فإذا انتهيت إلى القادسية وهو منزل رغيب خصيب حصين ، دونه قناطر وأنهار ممتنعة ، فتكون مسارلحك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحجر والمدر ، ثم الزم مكانك لا تبرحه فإنهم إذا

---

(١) الطبرى جـ ٤ ، ص ٨٥ .

(٢) الطبرى جـ ٤ ، ص ٨٧ .

أحسوك أنغصتهم ، رموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم ، فإن أنتم صبرتم لعدوكم ، واحتسبتم لقتاله ، ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وإن تكن الأخرى ، كان الحجر فى أدباركم ، فانصرفتم من أدنى مدرة فى أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليهم أجرأ . . وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن ، وبها أجهل ، حتى يأتى الله بالفتح . . فإذا كان يوم (كذا وكذا) فارتحل بالناس ، حتى تنزل فيما بين (عذيب الهجانات) و (عذيب القوادس) وشرق بالناس وغرب بهم ... (١) » .

ثم كتب عمر إلى سعد يستوصفه المنازل والبقاع ويستخبره عن أحوال العدو : « واكتب إلى أين بلغك جمعهم ، ومن رأسهم الذى يلى مصادمتكم ، فإنه منعنى من بعض ما أردت الكتاب به . . قلة علمى بما هجمتم عليه . . والذى استقر عليه أمر عدوكم . . فصف لى منازل المسلمين ، والبلد الذى بينكم وبين المدائن . صفة كأنى أنظر إليها . . واجعلنى من أمركم على الجليـــة .. ؟ ! !(٢) » .

فكتب إليه سعد يقول : « القادسية بين الخندق والعتيق . . . إلى أن يقول : وإن الذى أعدوا لمصادمتنا . . رستم فى أمثال له

---

(١) الطبرى جـ ٤ ، ص ٨٩ .
(٢) الطبرى جـ ٤ ، ص ٨٩ – ٩٠ .

منهم ، فهم يحاولون إنغاصنا وإقحامنا . . ونحن نحاول إنغاصهم وإبرازهم ، وأمر الله بعد ماض ، وقضاؤه مسلم . . إلى ما قدر لنـــا ... » [1] .

فكتب إليه عمر : « قد جاءني كتابك وفهمته ، فأقم بمكانك ، حتى ينغض الله لك عدوك . . واعلم أن لها ما بعدها ، فإن منحك الله أدبارهم ، فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن .. » [2] .

وبعث سعد عيوناً ليعلموا له خبر أهل فارس ، فرجعوا إليه بالخبر . . بأن الملك قد ولى — رستم بن الفرخذاذ الأرمني — قيادة جيش الفرس ، فكتب بذلك إلى عمر . . فكتب إليه عمر بقوله :

« لا يكربُنَّك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به . . وابعث إليه رجالا من أهل المناظرة والرأى والجلد . . يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وفلجاً عليهم واكتب إلى فى كل يوم » [2]

وحين وصل كتاب عمر إلى سعد بن أبى وقاص (جمع نفراً عليهم نجار ، ولهم آراء ، ونفراً لهم منظر ، وعليهم مهابة ، فبعثهم إلى الملك .. ! » [3] .

وكان من أمر هذا الوفد ما رواه الطبرى وابن الأثير [4] من مفاوضتهم لرستم أولا وليزدجرد أخيراً ، وهى مفاوضة

---

(1) الطبرى ج ٤ ، ص ٩١ — ١٠٠ .

(2) الطبرى ج ٤ ، ص ٩١ — ١٠٠

(3) الطبرى ج ٤ ، ص ٩٩ أ.

(4) الطبرى ج ٤ ، ص ٩٩—١٠٠ . والكامل فى التاريخ ج ٧ ص ٤١ ، ٤٢

صورية . . انتهت بأن زحف رستم من ساباط إلى القادسية للقاء سعد فى شهر المحرم عام ١٤ للهجرة .

كانت كفة الفرس هى الراجحة فى اليومين الأولين من أيام القادسية ، ثم كان من صنع الله ولطف تدبير عمر أن قدم المدد من الشام فى اليوم الثانى ، وقد زلزل العرب زلزالا شديداً . . فقويت عزائمهم ، وانتصفوا من الفرس فى اليوم الثالث وهو المعروف بيوم عماس .

قال الطبرى : « وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديداً .. العرب والعجم فيه على السواء ... » (١) .

واتصل القتال ليلة اليوم الرابع . . وهى المعروفة بليلة الهرير .. فلم يتنفس صبح ذلك اليوم إلا وقد انتصر العرب المسلمون على عدوهم انتصاراً عظيما .

قال الطبرى : « وكتب سعد بالفتح إلى عمر بقوله : أما بعد . . فإن الله نصرنا على فارس ، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل ، وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها ، فلم ينفعهم الله بذلك . . بل سلبهموه ، ونقله منهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام ، وفى الفجاج ، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ !! ورجال من المسلمين لا نعلمهم . .

---

(١) الطبرى جـ ٤ ، ص ١٢٦ .

الله بهم عالم . . كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوى النحل ! ! ؟ وهم آساد الناس ، لا يشبههم الأسود ! ؟ ولم يفضل من مضى منهم من بقى . . إلا بفضل الشهادة ! ؟ إذ لم تكتب لهم ... » (١) .

وقال الطبرى : « ولما أتى عمر بن الخطاب نزول رستم القادسية . . كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حيث يصبح إلى انتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ومنزله . فلما أتى البشير سأله : من أين ؟ فأخبره . قال عمر : يا عبد الله حدثنى . . قال البشير : هزم الله العدو ؟ ! وعمر يخب معه ويستخبره . . والآخر يسير على ناقته . . ولا يعرفه . حتى وصل إلى المدينة . . فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين . . فقال الرجل : فهلا أخبرتنى رحمك الله أنك أمير المؤمنين ؟ ! ! ! .

وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخى ... » (٢) .

ويمكن للقارئ أن يدرك الدور العظيم الذى قام به عمر فى تلك الوقعة الفاصلة . . فهو مدير رحاها وبطلها على الحقيقة ؛ وقد أدرك الفرس ذلك من فورهم فيرون أن رستم لما ضرسته الحرب بنابها ، ووطئته بمنسميها نادى فقال ما تعريبه : « أتانى صوت عند الغداة . . وأنه هو عمر . . الذى يكلم الكلاب فيعلمهم العقل . . أكل عمر كبدى أحرق الله كبده ... » (٣) .

---

(١) الطبرى ج ٤ ، ص ١٤٤ .
(٢) الطبرى ج ٤ ، ص ١٤٤ .
(٣) الطبرى ج ٤ ، ص ١١٤ — ١١٥ .

ولما هم الأعاجم المقيمون بالمدينة أن ينتقموا ممن فتح بلادهم لم يعمدوا إلى خالد ، ولا إلى سعد . . وإنما عمدوا إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فتآمروا عليه واغتالوه .

وقد كان قوام هذه المؤامرة خليطاً من الفرس الذين يمثلهم : الهرمزان الأعجمى ... ومن المسيحيين الذين يمثلهم : جفينة النصرانى ... ومن اليهود المجرمين الذين يسلمون فى غالب الأحيان بألسنتهم فقط . . ليستطيعوا الكيد للإسلام بكل حرية . . ومثلهم فى تلك المؤامرة القذرة : كعب الأحبار .

أما . . المجوس . . عبدة النار . . فقد مثلهم (فيروز . . أبو لؤلؤة الفارسى) . . مولى المغيرة .

ومن المعلوم أن الهرمزان . . كان من قادة الجيش الفارسى وقد هزمه سعد بن أبى وقاص وأسره . . فاعتنق الإسلام لينجو بنفسه من القتل . . وقد عاهد المسلمين على الولاء لدينهم وخليفتهم ، ثم نكث عهده غير مرة . . وانطلق يحرض مواطنيه ويثير دهاقنتهم على المسلمين . . فلما أخفقت جهوده وفشلت مساعيه ، عاد إلى الإسلام وهو يضمر له الحقد الدفين .

أما النصرانى جفينة (١) . . فقد أتى به سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه من نجران . . ليعلم أهل المدينة القراءة والكتابة ، وقد ظل على نصرانيته . . ينظر إلى نجاح الإسلام ، وتقدم فتوحات

---

(١) انظر ص ١١٧ فى مجلة الهلال ، عدد نوفبر سنة ١٩٣٧ .

المسلمين بعين الحقد والحسد . . إلى أن بدأت جيوش الروم النصرانية تتقهقر أمام جند الإسلام . . ثارت حفيظته وبيت للمنتصرين المسلمين هذا الكيد العظيم . أما — كعب الأحبار — فهو من دهاة اليهود . . الذين رأوا راية الإسلام تخفق فوق حصون اليهود وصياصيهم . . ورأى جيوش عمر . . تكتسح الأديان والبلدان . . وتأكد لديه أن سيدنا عمر عازم على تنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإخراج اليهود من جزيرة العرب . . تظاهر بالإسلام . . كعادة اليهود فى كل زمان ومكان — إذا أحسوا فى أنفسهم الضعف — واندس بين المسلمين يفسد عقول وعقائد ضعاف الإيمان منهم بما يلفقه من الأخبار والروايات التى ينسبها إلى توراتهم المزيفة المحرفة . ولست أشك فى أن هذا اليهودى وأشباهه . . هم الذين اختلقوا كثيراً من الأساطير والإسرائيليات التى شابت صفاء الدين الإسلامى . . وشوشت عقائد المسلمين .

فوجد هؤلاء الثلاثة الممثلين لأديانهم وطوائفهم .. فى المجوسى — أبو لؤلؤة — أداة صالحة للانتقام لليهودية والنصرانية والمجوسية المضمحلة أمام نور الإسلام البراق . . من الخليفة الذى أطفأ نيران المجوس ، وتهدد اليهودية المحرفة ، والنصرانية الوثنية . . بالمحو من الوجود .

ولقد ساق المؤرخون من الروايات ما ينهض دليلا على أن سيدنا عمر رضى الله عنه ، راح ضحية مؤامرة حاكها أعداء الإسلام هؤلاء . .

فقد ذكر الطبرى أن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، شهد يوم مصرع سيدنا عمر : بأنه بينما كان فى طريقه إلى داره عشية الفاجعة . . رأى الهرمزان . . وجفينة . . وأبا لؤلؤة يتهامسون ويتناجون . . فلما اقترب منهم اضطربوا وسقط من يد أحدهم خنجر ذو شعبتين وهو نفس الخنجر الذى طعن به — أبو لؤلؤة — أمير المؤمنين . ولقد تحقق — عبد الله بن عمر — من صحة هذه الرواية . . واقتنع بصدقها . . فحمل سيفه وانتقم لأبيه بقتل . . جفينة . . والهرمزان . . وابنة أبى لؤلؤة . . وأقسم ليقتلن كل من اشترك فى الجريمة بالإيعاز أو بالتدبير .

وجاء فى كتاب — أسد الغابة فى معرفة الصحابة — أن كعب الأحبار : أنبأ سيدنا عمر بما سيقع له قبل وقوعه بثلاثة أيام . . ! إذ ذهب إليه وقال : يا أمير المؤمنين : أعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام . . فسأله عمر : وما يدريك ؟ قال : أجد ذلك فى التوراة ؟ ! .

فلما كان اليوم الثانى ، ذهب إليه وقال : يا أمير المؤمنين . . انقضى يوم وبقى يومان . . فاعهد . . ولما كان اليوم الثالث . . ذهب إليه أيضاً وقال : لم يبق فى حياتك يا أمير المؤمنين سوى يوم واحد ! وهو لك بليله . . ؟ ! ! حتى مطلع الفجر . . ولكن سيدنا عمر لم يشأ أن يصدق ذلك . . أو لم يرد أن يحتاط استخفافاً به وإيماناً بقوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ (١) .

---

(١) انظر ص ١١٧ فى مجلة الهلال ، عدد نوفبر سنة ١٩٣٧ .

وهذه الرواية تشعرنا بأن اليهودى – كعب الأحبار – كان على علم تام بما يبيت لسيدنا عمر . . وهكذا قضى سيدنا عمر على أيدى المندسين والحاقدين على الإسلام ، كى يخلو الجو لمؤامراتهم التى ما زلنا نبلوا منها حتى عصرنا الحاضر .

ثم بايع المسلمون الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه أميراً للمؤمنين ، فاستمرت الفتوحات ، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية فى عهده براً وبحراً ، وامتلأ بيت المال . . إلا أن الفتنة التى أطلت برأسها فى أواخر عهد سيدنا عمر أخذت تتحرك بسرعة ونشاط . . تؤلب الأفراد والجماعات على سيدنا عثمان . . وكان رأس الفتنة هذه المرة . . هو اليهودى – عبد الله بن سبأ – الذى طاف بالبصرة والكوفة والشام ، ثم استقر فى مصر . . بعد أن كون فى تلك البلدان التى زارها تنظيمات سرية موالية له . . حرضها وأقنعها بالثورة ضد سيدنا عثمان رضى الله عنه ، بحجة أنه اغتصب الخلافة بغير حق من سيدنا على كرم الله وجهه ، ومدعياً بأن الرسول عليه الصلاة والسلام ، أوصى لعلى ابن أبى طالب بالإمامة من بعده ، فهو لذلك خليفة النبى عليه الصلاة والسلام بالنص والتعيين . قائلا : إن لكل نبى وصى ، وعلى بن أبى طالب . . وصى محمد . . فمن أظلم ممن لم يجز وصية محمد فى أن علياً وصيه فى الخلافة من بعده على أمته .

ثم قال لأتباعه : إن عثمان أخذ الخلافة بغير حق . . فانهضوا وأظهروا الأمر . . وأعيدوا الحق إلى نصابه .

وبالفعل . . تحركت تلك التنظيمات الموالية له من مصر والبصرة والكوفة بحجة أداء فريضة الحج . . على أن يلتقوا بعد ذلك على بعد ثلاثة أيام عن المدينة المنورة . . ثم ليزحفوا صوب مقر الخليفة لتنفيذ خطتهم وتحقيق أهدافهم الخبيثة . . الرامية إلى تحطيم المسلمين دينياً وسياسياً . . وقد نجحت مؤامرتهم . . إذ تمكنوا من اغتيال سيدنا عثمان فتوقفت حركة الفتوحات ، وبدأت الحروب الداخلية الدامية بين المسلمين [1] .

وبمقتل سيدنا عثمان انقسم المسلمون إلى حزبين رئيسيين : حزب على ، وحزب معاوية . . والحزب يطاق عليه فى العربية أيضاً اسم — الشيعة — . . فكانت شيعة على فى مقابل شيعة معاوية . لكن لما تولى معاوية الملك ولم يعد مجرد رئيس حزب . . أصبح استعمال اللفظ — شيعة — مقصوراً على أتباع على كرم الله وجهه [2].

ولم يسلم حزب على من الانقسام والاختلاف . . بل تفرقوا إلى عدة فرق . . منهم المعتدلون ، ومنهم الغلاه . . فاحتضن السياسيون من الفرس وأحبار يهوذا فرق الغلاة ، ووضعوا أسسها وقواعدها ، لغاية فى أنفسهم ، وكيفما راق لهم الهوى . . وتغالوا فى حب آل البيت ، وصبغوا أفكارهم ومعتقداتهم القديمة بصبغة إسلامية يبرأ منها الدين الإسلامى الحنيف .

---

(١) انظر ص ٤٢ — ٥٤ فى كتاب (الألوهية فى المعتقدات الإسلامية)
وانظر أيضاً ص ٤٦ — ٥٥ فى كتاب (الخطر المحيط بالإسلام) .
وانظر أيضاً ص ٣٩ — ٦٢ فى كتاب (مباحث فى علم الكلام والفلسفة) .

(٢) الخوارج والشيعة ، ص ١١٢ .

فرق الشيعة

انقسمت الشيعة إلى عشرين فرقة رئيسية :

منها : اثنتان كيسانية . . وثلاث زيدية . . وخمس عشرة فرقة [1] إمامية . وفيهم المعتدلون . . وفيهم الغلاة — كما أسلفنا — إلا أنهم جميعاً متفقون على أن الخلافة والإمامة لا تخرج عن أولاد علي وأحفاده ، وإن خرجت فبظلم من غيرهم أو بتقية من عندهم ، والإمامة عندهم لا تناط باختيار العامة ، ولا دخل للناس فيها . . إنما هي قضية أصولية تنصيصية تعيينية .

الشيعة الكيسانية :

وتنتسب إلى مؤسسها كيسان [2] ، مولى أمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وتلميذ محمد بن الحنفية .

وخلاصة عقيدة هذه الفرقة : هو إحاطة الإمام بالعلوم الإلهية ، وبعلم التأويل والباطن ، وانفراد الإمام وحده بحق تأويل الشريعة ، واعتبار طاعة الإمام من جوهر الدين . ولما علم محمد بن الحنفية بدعوى الكيسانية أن آل البيت يلمون بجميع العلوم قال : (والله ما ورثنا من رسول الله إلا ما بين هذين

---

(١) انظر ص ٤٩ فى كتاب (الألوهية فى المعتقدات الإسلامية) الكتاب الخامس.

(٢) انظر ص ٦٤ فى كتاب (مباحث فى علم الكلام والفلسفة) .

اللوحين . . يعنى القرآن) . وتبرأ من الكيسانية ومقالتهم علناً وجهراً . ولما انتقل (محمد بن الحنفية) إلى جوار ربه قالوا : إنه حى لا يموت ، وأنه محبوس برضوى إلى أن يؤذن له بالخروج . وهو عندهم (المهدى المنتظر) .

وتغلوا الكيسانية فى اعتقادها بإحاطة الأئمة بالعلوم الإلهية ، فتذهب إلى أن (محمداً بن الحنفية) قد أحاط بالعلوم كلها ، وأن أخويه الحسن والحسين قد عهدا إليه بالأسرار كلها وبعلم التأويل والباطن . . وقد انتهى اعتقاد الكيسانية بوجوب انفراد الإمام بتأويل الشريعة إلى القول بضرورة طاعته ، إذ أن طاعته لم تكن إلا طاعة للقانون الإلهى .

يقول الشهرستانى : (إن جميع الكيسانية يعتقدون أن الدين طاعة رجل ، وأن طاعتهم لذلك الرجل تبطل ضرورة التمسك بقواعد الإسلام — كالصلاة والصوم والحج — وهكذا ..) [1] .

ومن هنا يتضح الفرق بين عقيدتى السبئية والكيسانية ، فقد كانت السبئية تقول بحلول الجزء الإلهى فى الإمام . . وتجعل له نصيباً من الألوهية نفسها . . بينما تعتبره الكيسانية رمزاً للعلم الإلهى وتتفق الطائفتان فى القول بالرجعة ، أى رجعة الإمام . إلا أن السبئية يقولون بعودة الامام من مقره السماوى ، على حين ترى الكيسانية أن الإمام لا يعلم به حتى ساعة ظهوره . . وقد ظهرت

(١) الشهرستانى ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

هذه العقيدة في شعر الشعراء المشهورين الذين يدينون تعقيدة الكيسانية .

من ذلك قول (كثير عزة) و (محمد بن الحنفية) :

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يتبعها اللواء

تغيب لا يرى عنهم زماناً برضوى عنده عسل وماء

وقد ضعف نفوذ السبئية على مر الحوادث ، إلا أن مذهبهم والتجسد ما فتئ ينمو وينتشر[1] .

وعندما أعلن (المختار الثقفي) زعامته على شيعة الكوفة وكان خارجياً ثم صار زبيرياً ، ثم صار شيعياً . . قال للسائب الكابي : إنما أنا رجل من العرب . . رأيت (ابن الزبير) انتزى على الحجاز ، ورأيت مروان انتزى على الشام فلم أكن دون أحد من رجال العرب هؤلاء !! فأخذت هذه البلاد . . أي الكوفة . . فكنت كأحدهم . . إلا أني قد طلبت بثأر أهل البيت إذ نامت عنه العرب ، ثم أصبح كيسانياً فأعلن الدعوة لمحمد بن الحنفية .

وقد خدعته السبئية ــ جماعة عبد الله بن سبأ اليهودي ــ إذ قالوا له : أنت حجة هذا الزمان . . وحملوه على ادعاء النبوة . . فادعاها . . وزعم أن الوحي ينزل عليه . . فتكهن وسجع .

---

(١) السيادة العربية ، ص ٦٢ . الشهرستاني ، ج ١ ، ص ١١١ ، الأغاني : ج ٥ ، ص ١٠٢ .

الشيعة الزيدية :

تنتسب هذه الفرقة إلى (زيد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب) . وكان زيد بن على قد تتلمذ على – واصل بن عطاء – رأس المعتزلة . . فالتزم منهجه العقلى ، وبعضاً من أصوله . . وجاء فى الفخرى أن زيداً « كان من عظماء أهل البيت عليهم السلام ، علماً وزهداً وورعاً وشجاعة وديناً وكرماً » (١) . وهى خلال لم ينفك الزيديون يشترطونها فى إمامهم بحيث لم يعرجوا به قط كما فعل غيرهم إلى أفق غيبى . . وهم بذلك قد استأثروا بإعجاب بعض الفرق السياسية والاعتقادية من معتزلة وإباضية وسنيين (٢) .

ويرى الزيديون ألا نص فى إمامة على كرم الله وجهه ، وأيدته فرقة الصباحية فى ذلك .

وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، وكان يقول : إن على بن أبى طالب أفضل الصحابة ، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبى بكر رضى الله عنه ، لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها ، من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب الناس ، وسيف أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، من دماء المشركين من قريش وغير قريش لم يجف بعد . . والضغائن فى صدور القوم من طلب الثأر كما هى .. فما كانت القلوب تميل

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص ٩٥ .

(٢) مباحث فى علم الكلام والفلسفة ، ص ١١١ .

إليه كل الميل . ولا تنقاد إليه الرقاب كل الانقياد ، وكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن أكثر ليناً وتودداً وتقدماً بالسن منه ، ولذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً ، والأفضل قائم يرجع إليه فى الأحكام (١) .

ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقولة ، وأنه لا يتبرأ من الشيخين : أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، رفضوه فسمتهم الزيدية بالرافضة . وهذه الطائفة أكثر اعتدالا ، وأقرب مودة إلى أهل السنة والجماعة من كافة الفرق الشيعية الأخرى . . وقد سلك الإمام زيد مسلكاً اجتهادياً فصله منذ البداية عن آراء المعتزلة ، وأهواء الفرق الغالية ، إلا أنه أفاد من النظريات الشائعة بين الخوارج والمعتزلة .

فجمع بذلك بين التطبيق (الخارجى) الصريح والواضح للدين ، وبين النظر العقلى الاعتزالى ، دون أن ينتهى به ذلك إلى أن يكون خارجياً صرفاً ، أو مقراً لكل أصول المعتزلة (٢) .

الشيعة الإمامية :

انقسمت الشيعة الإمامية إلى عدة طوائف وفرق . . نتيجة لاختلافاتهم الكثيرة . . التى فاقت اختلافات الفرق الشيعية كلها . . وقد ساقوا الإمامة من على إلى ابنه الحسن بالوصية ثم إلى أخيه

---

(١) الملل والنحل جـ ١ ، ص ١٣٨ .
وانظر ص ٥٢ فى كتاب (الألوهية فى المعتقدات الإسلامية) .
(٢) مباحث فى علم الكلام والفلسفة ، ص ١٣٣ .

الحسين ثم إلى ابنه زين العابدين ثم إلى ابنه محمد الباقر ثم إلى ابنه جعفر الصادق رضى الله عنهم . . وهنا افترقوا إلى فرقتين :

١ – فرقة ساقت الإمامة إلى ولده إسماعيل . . وهم الإسماعيلية . . وهؤلاء افترقوا إلى عدة فرق بقى منها فى عصرنا الحاضر ثلاث فرق ، وهى :

(أ) الإسماعيلية المستعلية (طائفة البهرة) .

(ب) الإسماعيلية النزارية (جماعة أغا خان) .

(حـ) طائفة الدروز .

٢ – وفرقة ساقت الإمامة إلى (موسى الكاظم) . . وهم الإمامية الإثنا عشرية والذين يقال لهم أيضاً الجعفرية ، ويسمون فى لبنان بالمتاولة . .

وتعتبر فرقة الإمامية الإثنا عشرية أهم فرق الشيعة الإمامية ، وينتمى إليها معظم شيعة العراق وإيران والجزيرة العربية وباكستان ولبنان . . وانشقت عن هذه الفرقة . . طائفة النصيرية . . التى سنعرض لها بالحديث فى الصفحات القادمة .

الشيعة الغالية

تمكن اليهود وأشياعهم من شق وحدة الأمة الإسلامية إلى شقين : سنة . . وشيعة . ولكن هل اكتفوا بذلك ؟ كلا . . لأن هدفهم أبعد من ذلك بكثير ، ألا وهو إفساد وتخريب عقائد الذين اتبعوهم ، لإخراجهم نهائياً من صف المسلمين تحت ستار الدفاع عن آل البيت . . فأخذ — عبد الله بن سبأ — اليهودى اليمانى يظهر الزهد والتقوى والغيرة على الدين . . والمبالغة ظاهرياً فى حب آل البيت حتى زعم أن الله عز وجل حل فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه . . كما زعم — بولس الرسول — اليهودى المتنصر . . حلول الله عز وجل فى عيسى بن مريم عليه السلام . وبحلول الإله فى على حسب زعمه . . يجعله جديراً بالعبادة والتأليه . . كما فعل النصارى بعيسى بن مريم . فآمن بدعواه الذين لم يتمكن الإسلام من قلوبهم ، وذهبوا إلى الإمام على وقالوا له : أنت الله خالقنا ورازقنا . فارتاع سيدنا على لهذه المقولة . . وفزع . . وهاله الأمر . . فدعاهم إلى التوبة ، ولكنهم أصروا على مقالتهم . . فألقاهم فى النار أحياء وأنشد :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت نارى ودعوت قنبراً

فصاحوا وهم يحترقون : (لا يعذب بالنار سوى رب النار ،

فأنت الله حقيقة ...) [1] . فرددت صدى هذه المقالة كافة أركان الدولة الإسلامية . . حتى استقرت فى قلوب جاهلة طروبة بمثل هذه الادعاءات ، لأغراض سياسية انتقامية ، وكان بعض الفرس فى مقدمة الذين استغلوا هذه الادعاءات ، إذ كانت الإمبراطورية الفارسية قد ازدهرت مدة اثنى عشر قرناً من الزمان . . ووصلت جيوشها حتى اليونان ومصر . . ثم قضى العرب المسلمون عليها القضاء الأخير . . إلا أن بعض أبناء الفرس الذين لم يتمكن الإسلام من قلوبهم تلك الأيام . . لم يغفلوا عن مجدهم الغابر . . ولم تطمئن قلوب البعض منهم للشريعة الإسلامية ، بالإضافة إلى محاولة البعض اجترار الديانات المختلفة التى عجت بها رقعة الشرق كالمسيحية واليهودية والزرادشتية والمزدكية والمانوية وسواها . . فحاولوا تلوين الإسلام بها حتى يخلقوا التوافق بين ما كانوا عليه وما هم فيه . . مع رغبة الكثير منهم فى الانتقام من العرب المسلمين الذين قضوا على امبراطوريتهم الواسعة المترامية الأطراف . . فأدى كل ذلك إلى توجه أفكارهم إلى ما بذره اليهودى — عبد الله بن سبأ — فأنشأوا مختلف الفرق الغالية والمعارضة للمعتدلين من الشيعة ولأهل السنة والجماعة . . وأسسوا شتى النزعات المتنافرة لتمزيق الوحدة الإسلامية . . وذلك بعد أن اتخذوا من حب آل البيت — واستبشاع ما حل بسيدنا على وأولاده وأحفاده من بعده — ستاراً يخفون فيه حقيقتهم ، وتسمى

(١) انظر : ص ١٠٨ فى كتاب (الألوهية فى المعتقدات الإسلامية) .

هذه الفرق فى التاريخ الإسلامى بالفرق الغالية . . أما سبب تسميتهم بذلك فقد ذكره أبو الحسن الأشعرى بقوله :

« إنما سموا بالغالية . . لأنهم غلوا فى على وقالوا فيه قولا عظيماً » (١) .

وقد تصدى لهم علماء المسلمين وفقهاؤهم وأبانوا حقيقتهم وحذروا جماعة المسلمين فى أباطياهم وأسمارهم . .

يقول الشهرستانى :

« الغلاة اسم عنى أولئك الذين غلوا فى حق أئمتهم ، حتى أخرجوا من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية . . فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله . . وربما شبهوا الإله بالخلق . . وهم على طرفى الغلو والتقصير . . وإنما نشأت شبهاتهم عن مذاهب الحلولية ، ومذاهب التناسخية ، ومذاهب اليهود والنصارى . . إذ اليهود شبهوا الخالق بالخلق . . والنصارى شبهت الخلق بالخالق . فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام الإلهية فى حق بعض الأئمة ... » (٢) .

وقال ابن خلدون :

« ومنهم — أى الشيعة — طوائف يسمون الغلاة ، تجاوزوا حد العقل والإيمان فى القول بألوهية هؤلاء الأئمة . . إما على أنهم

---

(١) مقالات الإسلاميين ، ج ١ ، ص ٦٦ .

(٢) الملل والنحل (على هامش الفصل لابن حزم) ، ج ١ ، ص ١٠ .

بشر . . اتصفوا بصفات الألوهية ، أو أن الإله حل فى ذاتهم البشرية . . وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى فى عيسى صلوات الله عليه ... » [1] .

وقال ابن بابويه القمى [2] (من علماء الشيعة الإمامية الإثنا عشرية) :

« اعتقادنا فى الغلاة والمفوضة ، أنهم كفار بالله جل اسمه ، وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس » [3] .

وقال فيهم الشيخ المفيد (من علماء الإمامية الإثنا عشرية) ما نصـــه :

« الغلاة المتظاهرون بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام ، إلى الألوهية والنبوة . ووصفوهم من الفضل فى الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد . . وخرجوا عن القصد ، وهم ضلال كفار ، حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالإكفار والخروج عن الإسلام » .

ومن أشهر هذه الفرق الغالية والمنشقة عن الشيعة الإمامية والتى لا يزال لها وجود فى عصرنا . . طائفة النصيرية .

---

(١) المقـــدمة ، ص ٨٣٢ .

(٢) نسبة إلى مدينة قم .

(٣) انظر ص ٦٨ فى كتاب (دراسات فى الفرق والعقائد) .

طَائِفَةُ النُّصَيْرِيَّةِ

هى طائفة من الطوائف الباطنية الغالية ، يقيم غالبية أفرادها فى سوريا (١) ، بالجبال المعروفة باسمهم والواقعة شرقى اللاذقية ، والممتدة من جبال طوروس شمالا حتى سلسلة جبال لبنان جنوباً ، ولكنهم فى الآونة الأخيرة انتشروا فى معظم المدن السورية .

أصل تسميتها :

يتضايق النصيريون من إطلاق هذا اللقب عليهم ، ويحبون أن ينادوا بالعلويين . . ويقولون : بأن ذلك اللقب لم يكن إلا بداعي العداوة المذهبية . . وذريعة لاضطهادهم دون هوادة وبلا رحمة .

---

(١) « يتوزع النصيريون على النحو التالى حسبما ورد فى (دائرة المعارف الإسلامية) ، الطبعة الأولى :(أ) فى جبال العلويين ٢١٣,٠٠٠ ألف نسمة . (ب) فى لواء الإسكندرونه (المحتل من تركيا حالياً) ٥٨,٠٠٠ ألف نسمة . فى (أنطاكية ثم الجويدية ، والسويدية ، والعيدية ، والجلية) . (ج) فى حماه وحمص وفى حيين من أحياء حلب وقرب الجسر ، وعند شمال بحيرة الحولة (عين فيت : ٣٠٦٠ نسمة) . (د) فى فلسطين ٢٠٠٠ نسمة . (هـ) فى قليقية منذ القرن الخامس عشر وفى طرطوس وأضنة ٨٠,٠٠٠ ألف نسمة فى سنة ١٩٢١ ، وهى الآن تركية . انظر دائرة المعارف الإسلامية المختصرة ، ص ٤٣٤ ، لندن سنة ١٩٦١ ، وانظر مذاهب الإسلاميين ، ص ٤٩٧ . ويتواجد النصيريون كذلك فى مدينة (طرابلس – لبنان) ولهم فيها تنظيم مسلح يتزعمه العلوى (على عيد) .

ويقول النصيرون : إن الأتراك هم الذين حرموا أبناء الطائفة من ذلك الاسم . . العلويين . . وأطلقوا عليهم اسم النصيريين . . نسبة إلى الجبال التى يسكنونها نكاية بهم واحتقاراً لهم . . إلا أن الفرنسيين أعادوا لهم هذا الاسم الذى حرموا منه أكثر من (٤١٢ سنة) أثناء انتدابهم لسوريا . . إذ صدر أمر من (القومسيرية العليا فى بيروت) بتاريخ ١٩٢٠/٩/١ بتسمية جبال النصيريين بأراضى العلويين المستقلة [١] .

وثمة تفسير آخر لسبب تسميتهم بالنصيريين أورده المستشرق (ريسو) فيجعله ذا صلة بلفظ نصرانى أو نصارى » [٢] . وليس ذلك بمستبعد خاصة إذا لاحظنا أن النصيريين — كما سنرى فى الصفحات القادمة — لا يزالون يحتفظون ببعض التقاليد والطقوس الدينية القريبة الشبه — إلى حد ما — بالمسيحية . بالإضافة إلى مشاركتهم للنصارى فى كثير من أعيادهم ، والوقوف إلى جانبهم فى الأوقات الحرجة ، والتاريخ الحديث — فى لبنان مثلا — شاهد على صحة ذلك . .

لكن الأقرب إلى الصواب . . والمنطق أن اسم النصيريين مأخوذ من اسم مؤسس الطائفة . . (أبو شعيب محمد بن نصير البصرى النميرى) المتوفى سنة ٢٦٠هـ — ٨٧٣م ، والذى كان

---

(١) تاريخ العلويين ، ص ٣٩١ .
(٢) تاريخ الإسلام السياسى جـ ٤ ، ص ٢٦٥ — ٢٦٧ ، تاريخ العرب جـ ٢ ، ص ٥٣٩ .

مولى للحسن العسكرى .. الإمام الحادى عشر من أئمة الشيعة الإمامية الإثنا عشرية .. ثم انشق عنها وكون هذه الطائفة التى تنسب إليه .

ويقال : إنما سموا بالعلويين . . لأنهم من الطوائف التى تؤله سيدنا على كرم الله وجهه وتعبده . وقد سماهم الأتراك باسم (سوره ك) وهى لفظة تركية بمعنى : المنفيين أو المساقين . . ومع الزمن أصبح الناس يلفظونها (سوراك) ويراد بها النصيريون . ويوجد إلى هذه الأيام بعض النصيريين فى حلب وفى أقضية صهيون ، والعمرانية ، وصافيتا يسمون بهذا الاسم[1] .

ومن الأسماء التى تطلق على النصيريين اسم (النميرية) نسبة إلى محمد بن نصير النميرى [2] .

ومع أن النصيريين يكرهون هذا الاسم ، ولا يحبون أن يسموا به . . إلا أننا نجد النصيرى (محمد أمين غالب الطويل) يعلل سبب تسمية أبناء طائفته بالنصيريين ، فيقول : « لما فتحت جهات حمص وبعلبك . . استمد أبو عبيدة نجدة فأتاه من العراق خالد بن الوليد ، ومن مصر عمرو بن العاص ، وأتاه من المدينة جماعة من العلويين ! ؟ وهم ممن حضروا بيعة غدير خم [3] . . وهم من الأنصار وعددهم يزيد عن أربعمائة وخمسين مجاهداً . ولما وصلت هذه النجدة والتحقت بالجيش نجح نجاحاً جزئياً ،

---

(١) تاريخ العلويين ص ٣٤٣ .

(٢) فرق الشيعة ص ٧٨ . مقالات الإسلاميين ، ص ١٥ . الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٢ .

(٣) انظر ص ٥٧ فى هذا البحث .

فسميت هذه القوة الصغيرة (نصيرة) . . وإذا كان من قواعد الجهاد تمليك الأراضى التى يفتحها الجيش إلى ذلك الجيش نفسه فقد سميت الأراضى التى امتلكها جماعة النصيرة . . جبل النصيرة ؛ وهو عبارة عن جهات : جبل الحلو ، وبعض قضاء العمرانية المعروف الآن ، ثم أصبح هذا الاسم علماً خاصاً لكل جبال العلويين من جبال لبنان إلى أنطاكية » (١) .

هذه معظم الأقوال التى قيلت فى سبب تسمية هذه الطائفة باسم النصيريين . . أوردناها باختصار . إلا أننى أرى أن الأقرب إلى الصواب منها هو أنها سميت بذلك نسبة لواضع قواعد المذهب النصيرى (محمد بن نصير البصرى النميرى) مولى الحسن العسكرى، بعد أن انفصل عن الشيعة الإثنا عشرية . ولو رجعنا إلى أى كتاب أرخ للفرق المختلفة . . لوجدنا كثيراً من هذه الفرق نسبت لمن أوجدها . . والأمثلة على ذلك كثيرة ، تجدها فى مكانها (٢) .

نشأتها :

افترقت الشيعة الإمامية بعد موت (الإمام الحادى عشر) إلى أربع عشرة فرقة . . لم تعترف بالمهدى (محمد بن الحسن العسكرى) غير ثلاث منها فقط . . وأنكرت الفرق الباقية أن

---

(٢) تاريخ العلويين ص ٩٧ – ٩٨ .

(١) انظر كتاب الفرق بين الفرق ، والملل والنحل ، وكتاب الفرق الإسلامية (ذيل كتاب شرح المواقف للكرمانى) .

يكون للحسن العسكرى ولد أصلا . . وقالت إحدى الثلاث : « إن للحسن بن على – العسكرى – ابناً سماه محمد ودل عليه ، وولد قبل وفاته بسنتين »[1] . وقالت الثانية : « بل ولد للحسن ولد بعده بثمانية أشهر وإن الذين ادعوا اه ولدا فى حياته كاذبون مبطلون »[2] . وقالت الثالثة ، وهى فرقة الإثنا عشرية التى انضمت إليها سائر الفرق الإمامية الأخرى بعدئذ بهذين القولين .. وغلبت الرأى الأول . . والغريب فى الأمر أن فرقة من فرق الشيعة حين سئلت عن المهدى قالت :

« لا ندرى ما نقول فى ذلك الإمام ، أهو من ولد الحسن أم من إخوته . . فقد اشتبه علينا الأمر . . إنا نقول : إن الحسن ابن على كان إماماً وقد توفى ، وأن الأرض لا تخلو من حجة . . ونتوقف . . ولا نقدم على شىء حتى يصح لنا الأمر ويتبين »[3] .

وقد كانت الأئمة إلى زمن غيبوبة المهدى مرجع الشيعة وقدوتهم ، وبما أنهم يعلمون جميع العلوم التى خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل ، ويعلمون علم ما كان وما يكون ، وأنه لا يخفى عليهم شىء حسب ادعاء صاحب كتاب الكافى[4] ، فلا بد لكل واحد من الأئمة من (باب) يكون همزة الوصل وحلقة الاتصال بين الإمام وشيعته مستندين إلى أحاديث يقولون بأنها مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها :(من

(١) فرق الشيعة ص ١٠٢ .
(٢) فرق الشيعة ص ١٠٦ .
(٣) فرق الشيعة ص ١٠٦ .
(٤) الخطوط العريضة ص ٢٥ .

طلب العلم فعليه بالباب ، وأنا مدينة العلم وعلى بابها) . والأبواب التى كانت للأئمة حسب زعمهم هم :

١ – الإمام على بن أبى طالب وبابه : سلمان الفارسى .
٢ – الحسن المجتبى » قيس بن ورقة المعروف بالسفينة .
٣ – الحسين الشهيد » رشيد الهجرى [1] .
٤ – الإمام على زين العابدين » عبد الله الغالب الكابلى وكنيته كنكر .
٥ – الإمام محمد الباقر الشمالى » يحيى بن معمر بن أم الطويل
٦ – الإمام جعفر الصادق » جابر بن يزيد الجعفر .
٧ – الإمام موسى الكاظم » محمد بن أبى زينب الكاهلى
٨ – الإمام على الرضا » المفضل بن عمر .
٩ – الإمام محمد الجواد » محمد بن المفضل بن عمر
١٠– على الهادى » عمر بن الفرات المشهور بالكاتب .

---

(١) كان رشيد الهجرى ممن يذهبون مذهب عبد الله بن سبأ اليهودى . وروى أنه دخل على على بعد موته وهو مسجى ، فسلم وقال لأصحابه : « إنه ليفهم الآن الكلام ، ويرد السلام ، ويتنفس نفس الحى ، ويعرق تحت الدثار الوثير ، وإنه الإمام الذى يملأ الأرض عدلا وقسطاً ، كما ملئت جوراً وظلماً . . ثم زعم مع السبأيين أن الله عز وجل رفعه إليه كما رفع المسيح . . وقالوا : وإنما رفعه لغضبه على أهل الأرض ، إذ خالفوه ولم يطيعوا أمره » .

انظر ص ٢٢ – ٢٣ فى كتاب : مسائل الإمامة . ومقتطفات من الكتاب الأوسط فى المقالات .

١١ــ الإمام حسن العسكرى وبابه أبو شعيب محمد بن نصير البصرى النميرى .

أما الإمام الثانى عشر : محمد المهدى بن الحسن العسكرى ، فلم يكن له باب ــ كما يدعى النصيريون ــ بل بقيت صفة الباب مع أبى شعيب محمد بن نصير البصرى النميرى » (١) .

ولكن الشيعة الإمامية الإثنا عشرية لم تقر لأبى شعيب محمد ابن نصير بهذه الصفة ، فانفصل عنهم وأسس طائفة النصيرية المنسوبة إليه . ثم عللوا انفصالهم ــ فيما بعد ــ بقولهم : إنه لا يمكنهم أن يبقوا بدون مرجع ظاهر يعتقدون به . . إذ مهما تعالى البشر وتمسكوا بالمعنويات فإنه لا غنى لهم عن الأخذ بالماديات » (٢) .

وقد اتخذ محمد بن نصير من مدينة سامراء مقراً له ، وظل المرجع الأعلى للمذهب النصيرى إلى أن هلك عام ٢٦٠هـ . وكان (قد ادعى النبوة ، وأن الذى أرسله هو أبو الحسن ــ على ابن أبى طالب ــ وكان يقول بالتناسخ ، والغلو فى أبى الحسن ويقول فيه بالربوبية ، وبالإباحة للمحارم » (٣) .

وعند وفاة ــ محمد بن نصير ــ حل محله باب آخر هو

---

(١) تاريخ العلويين ص ٢٠١ ــ ٢٠٢ . الهفت الشريف ، ص ٢٠ ــ ٢١ .
(٢) تاريخ العلويين ص ٢٠٠ .
(٣) فرق الشيعة ص ٧٨ ، مقالات الإسلاميين ص ١٥ ، الفرق بين الفرق ص ٢٥٢ .

(أبو محمد عبد الله بن محمد الحنان الجنبلانى) وكان يقيم فى بلدة (جنبلا) الإيرانية ، فلذلك اشتهر بلقب الفارسى .

وقد أحدث ابن النصيريين طريقة صوفية عرفت (بالطريقة الجنبلانية) . . وكان قد سافر إلى مصر . . وهناك تمكن من استمالة الحسين بن حمدان الخصيبى لطريقته ومذهبه . . وبعد رجوعه إلى بلدة (جنبلا) تبعه تلميذه الخصيبى ، ودرس عليه تعاليم المذهب . . ثم خلفه بعد وفاته سنة ٢٨٧هـ ، فأصبح رئيساً دينياً ومرجعاً أعلى للنصيريين .

ثم ترك الخصيبى بلده (جنبلا) الفارسية . . وتوجه إلى العراق . . واتخذ من مدينة بغداد مقراً له . . ثم أخذ بالتجوال بين أتباعه داعياً ومرشداً . . حتى استقر به المقام فى مدينة (حلب) حيث هلك فيها عام ٣٤٦هـ . وقبره معروف فى شمالى مدينة حلب .. تعرف باسم قبر (الشيخ يابراق) ويزوره النصيريون ويقدسونه (١) ويقال بأن الخصيبى هو الذى أصّل ودوّن قواعد المذهب النصيرى كما هى عليه الآن . . وبعد هلاك الخصيبى أصبح للطائفة النصيرية مركزان ، الأول والأعظم فى مدينة حلب . . ويرأسه : محمد ابن على الجلى . والثانى فى مدينة بغداد : ويرأسه (على الجسرى) ناظر جسور بغداد آنذاك . وقد انقرض هذا المركز بعد حملة (هولاكو) المعروفة على مدينة بغداد .

---

(١) تاريخ العلويين ص ٢٠٤ . . أما تاريخ الإسلام السياسى فيذكر أن اسم القبر هو قبر (الشيخ برقق) بفتح الباء والقاف الأولى وتسكين الراء والقاف الثانية . انظر : جـ ٤ ص ٢٦٥ — ٢٦٧ .

وجلّ بعد (الجلى) أبو سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبرانى المولود فى مدينة طبرية شمالى فلسطين عام ٣٥٨هـ ، ثم سافر إلى حلب . . حيث تتلمذ على (الجلى) . . فآلت إليه رئاسة الطائفة .. ورئاسة الطريقة الصوفية الجنبلانية . . ثم نقل مركز الطائفة من مدينة حلب إلى مدينة اللاذقية فراراً من غارات الأكراد المستمرة عليهم . . واتخذها مقراً له . . إلى أن هلك فى سنة ٤٢٦هـ فيها . وقبره كانت على شاطىء البحر داخل المسجد المعروف اليوم بمسجد الشعرانى .. والمسلمون السنيون يزورونه أما النصيريون فيقدسونه .

وبعد وفاة (أبى سعيد الطبرانى) تناوب على زعامة الطائفة عدة مشايخ .. إلى أن جاء (الأمير حسن المكزون السنجارى)[1] إلى جهات اللاذقية بناء على رغبة النصيريين . . حيث أرسلوا له الشيخ محمد البانياسى والشيخ على الخياط . . وأبلغوه حالة النصيريين السيئة ومضايقة الأكراد والأتراك لهم ، فزحف بجيش قوامه خمسة وعشرون ألف مقاتل . . ونصب خيامه على (عين الكلاب) بقرب قلعة (أبى قبيس) وعلى سطح (جبل الكابية) ، وقد انتبه الأكراد والأتراك لمجيئه فتجمعوا سراً فى (مصياف) وأغاروا ليلاً على عساكر الأمير فغلبوه وهزموه شر هزيمة . . فرجع إلى (سنجار) يتعثر بأذياله . وبعد ثلاثين سنة من هزيمته زحف من سنجار إلى منطقة النصيريين ومعه خمسون ألف مقاتل عدا النساء والأطفال — وهم الذين تشكلت منهم العشائر النصيرية

---

(١) انظر كتاب الدكتور أسعد على — وهو من طائفة النصيريين — عن المكزون السنجارى تحت عنوان : « معرفة الله والمكزون السنجارى » .

المسماة الآن بالحدادية ، والمتاورة ، والدراوسة ، والمهالبة ، وبنى على – وجاء عن طريق حلب . . فالتحق بعض النصيريين الموجودين فى المنطقة . . وزحف إلى جبال النصيريين واحتلها بعد حروب دامية . . واتخذ من قلعة (أبى قبيس) مقراً له . . بعد أن استولى عليها عنوة . . واستولى أيضاً على (جبل الكابية) . . وعندما استولى على شواهق جبال النصيرية التى تسمى (شعراً) تعاون مع (الإسماعيلين الأغاخانيين) الموجودين بالمنطقة على طرد الأكراد إلى أن أوصلوهم إلى جهات (عكار) فى لبنان حالياً . ثم رجع لقلعة (أبى قبيس) التى جعلها مركزاً صيفياً له . واتخذ من قرية (سيانو) المجاورة (لخربة جبلة) مشتى يستقر فيه شتاء . ثم أسلم نفسه للتصوف والتأليف فى قواعد المذهب النصيرى إلى أن هلك عام ٦٣٨هـ . . ودفن فى قرية (كفر سوسة) على مقربة من الجولان . . وقبره مزار مشترك للجهلة من السنيين . . وللنصيريين الذين يرون فى زيارته نوعاً من العبادة والتقديس .

وبعد وفاة (حسن المكرون) تفرق النصيريون إلى عدة مراكز دينية غير مرتبطة ببعضها البعض . . يتبوء كل مركز منها لمرجع دينى يطلقون عليه لقب (الشيخ) . . واستقل كل (شيخ) برئاسة مركز صغير إلى أن استطاعوا بالأمس القريب . . وفى غفلة المسلمين (غفاة البشر) فى سوريا وغيرها . . من السيطرة على نظام الحكم فى سوريا . فعادت لهم سطوتهم وقوتهم مرة أخرى . . يتحكمون بها فى رقاب المسلمين .

العقيدة النصيرية

يعتبر النصيريون ديانتهم ومذهبهم سراً من الأسرار العميقة(1) التي لا يبوحون بها لسواهم . . وكثيراً ما نطالع في رسائلهم وكتبهم السرية الوصايا المتكررة للأتباع بضرورة كتمان أسرار مذهبهم . . من ذلك مثلا ما ورد في كتابهم (الهفت الشريف) :

« يا مفضل : لقد أعطيت فضلا كثيراً ، وتعلمت علماً باطناً فعليك بكتمان سر الله ، ولا تطلع عليه إلا ولياً مخاصاً ، فإن

(1) يتشدد النصيريون مع كل من يحاول كشف أسرارهم حتى ولو كان نصيرياً . يقال أن سليمان الأخني – وهو من أبناء مشايخ النصيريين في ولاية أضنه تنصر بتأثير بعض المبشرين الأمريكيين ، وجاء اللاذقية . . وكتب كتابه (الباكورة السليمانية) ، وكشف فيه الكثير من أسرار العقيدة النصيرية . . وطبع المبشرون الأمريكيون الكتاب في بيروت سنة ١٨٦٣ . . وبعد أن أقام باللاذقية مدة مديدة أخذ أقاربه يراسلونه ، ويحببون إليه العودة إليهم مستعملين في ذلك كل وسائل التودد والمجاملة ، حتى أمن جانبهم وعاد إلى وطنه الأصلي ، وهناك أماتوه بشر ميتة بإحراقه حياً . . والغريب من أمر هذا الكتاب أنه بعد طبعه وتوزيع نسخ كثيرة منه في اللاذقية وغيرها أخذ في الاختفاء تدريجياً حتى توارى ولا يرى أحد منه الآن نسخة واحدة » .

انظر : دائرة معارف محمد فريد وجدي ج ١٠ ، ص ٢٥٠ .

وفي ظني أن الصحفي : سليم اللوزي صاحب الحوادث – الذي قتل منذ أيام لم يقتل إلا لأنه كتب مقالا كشف فيه عن نفوذ العلويين في طرابلس لبنان . . وعن تنظيمهم المسلح الذي يتزعمه النصيري : علي عيد .

أفشيته إلى أعدائنا . . فقد أعنت على قتل نفسك ... » [1] .

وقوله أيضاً فى مكان آخر من نفس الكتاب ما نصه :

« وأوصيك يا أخى ونفسى بكتمان سر الله تعالى ، وباطن مكنونه ، إلا من إخوانك الموحدين المقرين بمعرفة على الأعلى ..» [2]

وجاء فى خاتمة رسالة من رسائلهم ما نصه :

« وقد كشفت لك فى هذه الجوابات ما لم يكن يجب كشفه ، إلا من لسان إلى أذن . . لمن يوثق به . . وهو عندك أمانة . . ولا توقف عليه أحداً » [3] .

والمرأة النصيرية عندهم لا يطلعونها على أسرار مذهبهم لأنها فى نظرهم ضعيفة العقل والإرادة . . يقول الهفت الشريف : « قال المفضل : يا مولاى . . روى عن أبيك أنه قال : النساء شر من الرجال ، وأكثر احتيالا ومكراً » .

قال الصادق : يا مفضل . . إن أصل كل شر هو النساء وحين أخرج أبونا آدم من الجنة كان ذلك بسبب حواء . . وكذلك قتل قابيل أخاه هابيل بسبب النساء ، ألم تسمع كلام الله عن امرأة نوح ولوط وكيف خانتاهما ، وكذلك قتل (يحيى بن زكريا)

---

(١) الهفت الشريف ص ١٢٦ .

(٢) الهفت الشريف ص ٧٨ .

(٣) انظر (خمس رسائل وأجوبتها) لمؤلف مجهول ، ص ٦٤ — ٦٥ . ضمن مجموعة رسائل حققها ونشرها المستشرق الألمانى شتروطمان .

بسبب امرأة باغية ، وقد قال النبي وأبلغ فى القول ، وأزجر فى المعنى حيث نظر فى النار فرأى أكثر أهلها نساء .

وقال منه السلام : والشياطين من الامرأة . . وإن الإنسان إذا ارتقى فى كفره وعتوه وتمرده ، وتناهى فى ذلك صار إبليساً ويـُردُّ فى صورة امرأة ؟ ! »(١) .

فالذلك لا يأمنوها على أسرار المذهب – كما أسلفنا – ولا يطلعونها عليه . . فالمرأة النصيرية إذن لا دين لها . أما الرجل . . فلا يطلعونه كذلك على أسرار المذهب إلا إذا بلغ سنه تسعة عشر عاماً . . شريطة أن يمر فى مراحل ثلاث . .

المرحلة الأولى ويسمونها مرحلة (الجهال) . . وفى هذه الدرجة أو المرحلة يهيئون من يقع عليه الاختيار من أبناء الطائفة لقبول وحمل أسرار المذهب . . التى يعطونه أو يلقنوه شيئاً منها فى مرحلة تالية تسمى مرحلة أو درجة (التعليق) . . إذ يبقى (الجاهل) مدة سنة إلى سنتين تحت إشراف شيخ من شيوخ الطائفة ليطلعه على شىء من أسرار العقيدة بالتدريج – كما أسلفنا – . . فإن لم يأنسوا فى (الجاهل) خيراً طردوه . . ولا يلقنونه أسرار المذهب . . أما إذا وجدوه جديراً بحمل أسرار المذهب نقلوه إلى درجة أو مرحلة أعلى يسمونها مرحلة (السماع) . . وبعد مضى فترة عليه فى هذه الدرجة التى يطلع فيها على كثير من أصول المذهب النصيرى . . يعقد الرؤساء الروحيون للطائفة (مجمعاً)

(١) الهفت الشريف ص ١٦٨ .

خاصاً . . لتلقينه أسرار المذهب . . ولنقله إلى درجة أعلى يطلقون عليها درجة (الشيخ أو صاحب العهد) لحضور كفيلين أو شاهدين اثنين يشهدان باستعداد الرجل لقبول السر ومحافظته عليه . . وبأنه أهل للقيام بأعباء هذه الدرجة . . ثم يلقنونه سر المذهب بعد حلف اليمين المقررة عندهم ، والذى يتضمن عدم البوح به . . ويؤكد على ضرورة الحفاظ عليه . . ولو أريق دمه .

وهذا الأسلوب المتبع لدى النصيريين . . يشبه إلى حد بعيد الأسلوب المتبع والمستعمل فى الماسونية عند سقوط عضو جديد فى شراكها .

وبعد حصوله على هذه الدرجة يصبح (شيخاً) من شيوخ الطائفة [1] .

ومع أن مؤلفى كتب الفرق المختلفة . . اختلفوا فى (محمد بن نصير) مؤسس هذه الطائفة . . إلا أنهم اتفقوا على أنها تؤله علياً كرم الله وجهه ، وهم فى ذلك تابعوا (السبئية) – أتباع عبد الله ابن سبأ – الذين قالوا بحلول الجزء الإلهى . . فى الإمام على والأئمة من بعده . . (أى أن الله تجلى للمرة الأخيرة بعلى كما تجلى من قبل – حسب اعتقادهم – بهابيل وشيث وسام وإسماعيل وهرون وشمعون) واتخذ فى كل دور رسولا ناطقاً تمثل على الترتيب فى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى . . فعلى إله فى

(١) المفت الشريف ص ٢١ – ٢٢ ، بتصرف .

الباطن وإمام فى الظاهر لم يلد ولم يولد ولم يمت ولم يقتل ولا يأكل أو يشرب .

وبحسب الاعتقاد السابق فقد اتخذ على محمداً ، ومحمد متصل بعلى ليلا منفصل عنه نهاراً ، وعلى خلق محمداً ، ومحمد خلق سلمان الفارسى ، وسلمان خلق الأيتام الخمسة [1] الذين بيدهم مقاليد السماوات والأرض ، وهم :

المقـــداد : رب الناس وخالقهم الموكل بالرعود والصواعق والزلازل .

وأبو الـــذر : أى (أبو ذر الغفارى) ، الموكل بدوران الكواكب والنجوم .

وعبد الله بن رواحة الأنصارى : الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر .

وعثمان بن مظعون : الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان .

وقنبر بن كادان : الموكل بنفخ الأرواح فى الأجسام) [2] .

ويحتج النصيريون لهذه العقيدة بقولهم : إن الإله معبود مقدس ، يحل فى الأجسام متى يشاء ، وله التصرف المطلق ، وإليه ترجع الأمور . . فالإله حل فى على بن أبى طالب . . فهو إمام فى الظاهر

---

(١) المقصود بالأيتام الخمسة : الذين لا مثيل لهم .

(٢) انظر ص ٣٠٧ - ٣٠٨ فى كتاب (إسلام بلا مذاهب) .

وإله فى الباطن . . لا يأكل ولا يشرب ولم يلد ولم يولد .. فأما الظاهر . . فهو القسم البشرى منه .. قسم (الناسوت) الذى يأكل ويشرب ويلد ويولد .

وأما الباطن منه فهو قسم (اللاهوت) الذى لا يأكل ولا يشرب . وقالوا أيضاً : إن ظهور الروحانى بالجسد الإنسانى لا ينكره عاقل ، كما ظهر جبريل بصورة الأعرابى ، والشيطان بصورة إنسان . . فإن الله أيضاً يظهر بصورة أشخاص .. ولما كان على بن أبى طالب وأولاده وأحفاده من بعده أفضل العالمين . . فقد ظهر الحق بصورتهم ، ونطق بلسانهم ، وأخذ بأيديهم . وقالوا : لم يكن فتال المنافقين ، ومكالمة الجن ، وقلع باب خيبر بقوة جسدية . . وإنما هى من أبرز الدلائل على أن فيه جزءاً إلهياً . . وقوة ربانية . . إذ هو الذى ظهر الإله بصورته ، وخلق بيده ، وأمر بلسانه » (١) .

ويتفق مع ما أوردناه . . ما رواه عنهم صاحب كتاب الفرق الإسلامية إذ يقول ما نصه :

« ولما لم يكن شخص أفضل من على وأولاده ، قلنا : ظهر الحق تعالى بصورتهم ، ونطق بلسانهم ، وأخذ بأيديهم . ومن هنا أطلقنا الألوهية على الأئمة . . إلا أن علياً اختص بتأييد من

---

(١) بتصرف من كتاب : الألوهية فى المعتقدات الإسلامية ص ١١١ .
وانظر الملل والنحل ج ١ ، ص ٢٦٣ – ٣١٧ .

الله فيما يتعلق ببواطن الأسرار . قال النبي عليه السلام : (أنا أحكم بالظاهر والله يتولى الدائر) .

وعلى هذا كان قتال المشركين (الظاهر كفرهم) إلى النبي عليه السلام ! وقتال المنافقين (والنفاق محله القلب) إلى علي[1] ؟ ! .

والإله لم يحل في سيدنا علي فقط . . حسب مزاعم النصيريين ، إنما حل في الأئمة من بعده ، ويؤيد ذلك ما ورد في كتابهم المقدس (الهفت الشريف) عن قصة مقتل الحسين رضي الله عنه ما نصه : « وإن الحسين لما خرج إلى العراق ، وكان الله محتجباً به ، وصار لا ينزل منزلا صلوات الله عليه ، إلا ويأتيه جبريل فيحدثه . . حتى إذا كان اليوم الذي اجتمعت فيه العساكر عليه ، واصطفت الخيول لديه . . وقام الحرب . . حينئذ دعا مولانا الحسين جبريل وقال له : يا أخي من أنا ؟ قال : أنت الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم والمميت والمحيي ! ! . أنت الذي تأمر السماء فتطيعك ، والأرض فتنتهي لأمرك ، والجبال فتجيبك ، والبحار فتسارع إلى طاعتك . . وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد ولا ضرر ضار ! . قال الحسين : افترى هذا الخلق المنكوس ، تحدثهم أنفسهم أن يقتلوا سيدهم لضعفهم ، ولكنهم لن يصلوا إلى ذلك . . ولا إلى أحد من أولياء الله . . كما أنهم لم يصلوا إلى عيسى ولا إلى أمير المؤمنين – علي – ولكنهم عملوا ذلك ليحل عليهم العذاب بعد الحجة والبيان ... »[2] .

---

(١) الفرق الإسلامية ص ٤٩ (ذيل كتاب شرح المواقف) .
(٢) الهفت الشريف ص ١٢١ .

وأورد (الهفت الشريف) قولا . . على لسان جعفر الصادق ـــ وهو منه براء ـــ ما نصه : « نحن الأئمة أولياء الله . . لا يفتر علينا من علمه شيء ، لا فى الأرض ولا فى السماء . . نحن يد الله وجنبه ، ونحن وجه الله ويمينه . . وأينما نظر المؤمن (يقصد النصيرى) يرانا . . إن شئنا شاء الله ، ولاتلقه إلا لأهله (أى هذا القول) . . والحمد لله الذى اصطفانا من طينة نور قدرته ، ووهبنا سر علم مشيئته ، وأمرنا بأن نعرف شيعتنا حق حقيقة معرفة أمانته ! ونخلص نفوسهم من كدر العذاب بولايته ... »[1] .

وللأئمة عند النصيريين ـــ كما أسلفنا ـــ ميزات خصوصية يمتازون بها عن بقية البشر ، ويقولون : بأن أفعالهم وأقوالهم منطبقة على الإرادة الإلهية ! . انطباقاً تاماً . . وهم معصومون لأن الخطايا رجس . . وقد قال تعالى : ﴿ ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ . فهم لذلك مصدر الإرادة الإلهية فى أفعالهم وأقوالهم ونوايا قلوبهم . والإمام عندهم أعلى منزلة من النبى . . لأن الأنبياء يوحى إليهم بواسطة جبريل . . والأئمة يكلمون الله تعالى بغير واسطة . . ويأتيهم الإلهام الربانى . . وهم أصحاب شرائع مستقلة ! ! .

وتفسير القرآن تفسيراً صائباً صحيحاً منحصر بالأئمة دون سواهم لقوله تعالى : ﴿ وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين . . ﴾ فيكون الإمام عارفاً لعلوم الأولين والآخرين . لأن الجهل منقصة .

---

(١) الهفت الشريف ص ٢٢١ – ٢٢٢ .

وليس فى الإمام منقصة . . والجهل ضلالة . . وليس عند الإمام ضلالة وإنما عنده الهداية (١) .

والأئمة فى اعتقاد النصيريين لا يولدون كغيرهم من بنى البشر . . بل يولدون بكيفية خاصة لا يزاحمهم فيها غيرهم .

يقول كتابهم — الهفت الشريف — ما نصه :

« فإذا أراد الله إظهار الإمام فى الظاهر ، تأديباً لهذا الخلق ، أرسل روحاً من عنده فيتدخل فى المولود الذى قد يتطهر من كل دنس ولم يزاحمه رحم . . ولكن تدخل الروح فيه تأديباً للناس . . أتدرى يا مفضل ما مثل ذلك ؟ .قلت : لا يا مولاى . قال : إن ميلاد الإمام وموته ليس بميلاد ولا موت ، وإنما مثله كمثل رجل لبس قميصاً ونزعه حينما شاء . . فلذلك قال الله ﴿ نكلم من كان فى المهد صبياً ﴾ !! لهذه العلة . . ألم تسمع إلى قوله تعالى فى المهد حين قال : ﴿ وكيف نكلم من كان فى المهد صبياً ؟ ﴾ . ثم قال الصادق : وإنى لست صبياً ، آتانى الكتاب قبل أن ترونى ، وإنما دخلت فى هذا البدن على التخيير . . وكذلك الأوصياء . . لو كانوا صبياناً لم يفهموا ولم يعقلوا . . ومثله كما أخبرتك عن رجل لبس قميصه ونزعه . . والحمد لله دائماً وأبداً والسلام » (٢) .

وقد ادعى الألوهية فى زماننا هذا النصيرى (سلمان المرشد) وهو من قرية (جوبة برغال) شرقى مدينة اللاذقية بسوريا . .

---

(١) تاريخ العلويين ص ١٨٣ — ١٨٤ . والهفت الشريف ص ١٧ .

(٢) نقلناه بحروفه على ما فيه من كتاب الهفت الشريف ص ١١٣ — ١١٤ .

وآمن به واتبعه كثير من النصيريين ... (وقد مثل الدور تمثيلا جيداً ، فكان يلبس ثياباً فيها أزرار كهربية ، ويحمل فى جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار . . فإذا أوصل التيار شعت الأنوار من الأزرار فيخر له أنصاره ساجدين . . ومن الطريف أن المستشار الفرنسى الذى كان وراء هذه الألوهية المزيفة كان يسجد مع الساجدين . . ويخاطب سلمان المرشد بقوله : يا إلهى ؟ ! . وقد اتخذ (سلمان المرشد) رسولا اسمه : (سلمان الميدة) وكان يشتغل جمالا عند أحد المزارعين فى حمص فى حين كان سلمان المرشد – مدعى الألوهية – راعى أبقار .. وهكذا يكون الإله راعياً والرسول جمالا »[1] .

وقد استماله الفرنسيون – كما أسلفنا – واستخدموه . . وجعلوا للعلويين نظاماً خاصاً . . فقويت شوكته وتلقب برئيس (الشعب العلوى الجبدرى الغسانى) وعين قضاة ، وسن القوانين ، وفرض الضرائب على القرى التابعة له . . وأصدر القرارات . . من ضمنها قراراً جاء فيه :

« نظراً للتعديات من الحكومة الوطنية والشعب السبى على أفراد شعبي ، فقد شكلت لدفع هذا الاعتداء جيشاً يقوم به الفدائيون والقواد ... إلخ » تماماً كفرق الدفاع الخاصة التى شكلها النظام العلوى فى سورياً اليوم – وجعل لمن سماهم بالفدائيين

---

(١) انظر ص ٣٠٩ فى كتاب إسلام بلا مذاهب .

ألبسة عسكرية خاصة . . وكان من خلال ذلك يزور دمشق نائباً عن العلويين فى المجلس النيابى السورى . . ولما جلا الفرنسيون عن سوريا ، ترك له هؤلاء من أسلحتهم ما أغراه بالعصيان ، فجردت الحكومة السورية آنذاك قوة فتكت ببعض أتباعه ، واعتلقته مع آخرين ، ثم أعدم شنقاً فى دمشق عام ١٩٤٦ (١) .

وقد سئل مرة قبل هلاكه : أنت إله ؟ ! وأغا خان (زعيم الإسماعيلية الأغاخانية) إله ؟ ! فكيف تتسع الأرض لإلهين ؟ فأجاب : إن الخالق يبث روحه فيمن يشاء . . وقد يبثها فى مائة من مخلوقاته ، فيصبحون أرباباً مثلى » (٢) . ومن الطريف أن (البنادية) وهو الاسم الذى أطلقه على أتباعه وأنصارهم من النصيريين المواخسة — أتباع النصيرى على الماخوس — ظلوا مخلصين لسلمان المرشد . . فبعد أن شنق ألهوا ابنه (مجيب بن سلمان المرشد) . . ومع أن هذا الأخير قتل أيضاً . . إلا أنهم لا زالوا يؤلهونه . . ولا زالوا يذكرون اسمه عندما يريد أحدهم ذبح طير أو حيوان (٣) ، فيقولون : (باسم مجيب الأكبر من يدى لرقبة أبى بكر وعمر ... » .

---

(١) انظر الأعلام جـ ٣ ، ص ١٧٠ .

(٢) انظر الأعلام جـ ٣ ، ص ١٧٠ .

(٣) يحرم النصيريون على أنفسهم أكل أنثى الحيوانات التى تحيض . . كما وأنهم يحرمون أكل الجمال والأرانب والغزلان .

وقد ذكر صاحب كتاب (إسلام بلا مذاهب)[1] بأن الأنظار متجهة الآن إلى تأليه واحد من إخوة (مجيب) الذين لا يزالون يتمتعون ببعض النفوذ عند جهلاء النصيريين .

ويحيط النصيريون من وصل إلى رتبة (الشيخ) منهم بهالة من القداسة والتعظيم . . ويعتقدون بأنهم يعرفون الغيب وما سيحصل فى المستقبل . . فيعمدون إلى استشارتهم فى كل صغيرة وكبيرة ومتى حكم (الشيخ) فى شيء يكون حكمه مبرماً لا يقبل الجدل . . سواء كان محقاً فى ذلك أم مبطلا .

وختاماً لهذا الفصل نورد نصاً (للقسم النصيرى) وهو يكشف عن بعض معتقداتهم . . وقد أورد نصه ابن فضل الله العمرى فى كتابه (التعريف بالمصطلح الشريف) ونقله عنه القلقشندى فى كتابه (صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٥٠ – ٢٥١) وهذا نصه :

« إننى وحق العلى الأعلى ، وما اعتقده فى المظهر الأسنى وحق النور وما نشأ منه ، والسحاب وساكنه ، وإلا برئت من مولاى (على) العلى العظيم ، وولائى له ، ومظاهر الحق . وكشفت حجاب سلمان بغير إذن ، وبرئت من دعوة الحجة (نصير) وخضت مع الخائضين فى لعنة ابن ملجم . . وكفرت بالخطاب ، وأذعت السر المصون ، وأنكرت دعوى أهل التحقيق ، وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدى ، حتى أجتث

---

(١) انظر كتاب (إسلام بلا مذاهب) ، ص ٣٠٩ – ٣١٠ .

أصولها وأمنع سبيلها ، وكنت مع قابيل على هابيل ، ومع النمرود على إبراهيم ، وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه ، إلى أن ألقى العلى العظيم وهو على ساخط ، وأبرأ من قول قنبر ، وأقول إنه بالنار ما تطهر ... » .

وهذا القسم إذا حللناه وجدنا :

(أ) أن علياً بن أبى طالب يلقب بلقب (العلى العظيم) وهما من أسماء الله .

(ب) أن سلمان الفارسى هو صاحب الحجاب ، أى الباب الذى يفضى إلى العلم والحكمة وأسرار الباطن وباطن الأسرار .

(ح) أن الخطاب هو الديانة والدعوة والبلاغ .

(د) أن مبادئ النصيرية سر مصون لا يجوز إذاعته .

(ه) أن شجرة العنب مقدسة عندهم بحيث لا يجوز اقتلاعها ، لأن من ثمرها تصنع الخمر . . وهم يعظمون الخمر كما رأينا :

عبادات النصيرية

يعتقد الكثير من الناس أن النصيرية فرقة من الفرق الإسلامية ولكن مذهبهم فى الحقيقة عبارة عن خليط عجيب من ديانات ومذاهب مختلفة . . وثنية وغيرها . . فهم يخالفون المسلمين فى كل شىء . . اللهم إلا أنهم يستعملون الأسماء الإسلامية كما يتسمون بالأسماء المسيحية ، لكنهم لا يسمحون لأحد منهم أن يتسمى باسم أبى بكر أو عمر . . بل يزعمون كغيرهم أن الصديق أبا بكر وأمير المؤمنين عمر وذا النورين عثمان رضى الله عنهم ، تعدوا على سيدنا على كرم الله وجهه ومنعوه حقه فى الخلافة .

وما ورد فى عقيدتهم وكتبهم من كلمات الصلاة والحج والزكاة والصيام لا يريدون بها ما نريده نحن المسلمين ، بل يؤلونها إلى معان لا تحتملها هذه الكلمات . . فهم يعتقدون أن من عرف الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر ، ومن عرف درجات ومنازل المؤمن (أى النصيرى) فهو حينئذ حر سقطت عنه العبودية ، وخرج من حد المملوكية إلى حد الحرية . . ورفعت عنه الأغلال والأصفاد وإقامة الظاهر . . أى العبادات بأنواعها ... لأن الأغلال والأصفاد لم توضع إلا على المقصرين .

يقول الهفت الشريف :

قلت يا مولاى : أما كان أهله من أهل الصلاة ؟ قال :

ويحك أتدرى ما معنى قوله تعالى : وكان يأمر أهله بالصلاة ؟ . قلت : يعنى أهله المؤمنين من شيعته الذين يخفون إيمانهم ، وهى الدرجة العالية والمعرفة والإقرار بالتوحيد وأنه العلى الأعـلى . . (أى الإمام على) . فأما معنى قوله تعالى : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ﴾ . فالصلاة أمير المؤمنين . . والزكاة : معرفته . أما إقامة الصلاة : فهـى معرفتنا وإقامتنا ... »[1] .

ويقول (الهفت الشريف) أيضاً : « لا يحتجن أحدكم بصومه وصلاته وحجه وجهاده . . فإن الله غنى عن ذلك كله . . وهو أعلم بعباده ، البار منهم والفاجر . . ولا يفوز أحدكم فى كثرة صلاته وصومه إذا لم يعرف الله وأولياءه وأعداءه ، وإمامه ، وحجته فيما بينه وبين ربه » [2] .

وقد ذكر الدكتور مصطفى الشكعة أن هناك بعض التكاليف على بعض النصيريين ، فرجال الدين وهم المعروفون (بالشيوخ أو أصحاب العهد) تسرى عليهم جبرية التكاليف [3] . . أما غيرهم من جهال النصيريين فليسوا بمكلفين .

وذكر الدكتور مصطفى الشكعة أيضاً : أن النصيريين يصلون فى خمسة أوقات[4] . . إلا أنها تختلف فى الأداء وفى عدد الركعات

---

(١) الهفت الشريف ص ٦٤ . (٢) الهفت الشريف ص ٢٢١ .

(٣) انظر ص ٣١٢ – ٣١٤ فى كتاب (إسلام بلا مذاهب) .

(٤) أول وقت للصلاة المفروضة هو الظهر وتتألف من ٨ ركعات . ثم العصر وتتألف من ٤ ركعات . ثم المغرب وتتألف من ٥ ركعات ، ثم العشاء وتتألف من ٤ ركعات ، ثم الفجر وتتألف من ركعتين .

انظر ص ٤٨٧ فى كتاب (مذاهب الإسلاميين) .

عن بقية المذاهب الإسلامية . . وصلاتهم ليس فيها سجود وإن كان فيها ركوع أحياناً . . كما وأنهم لا يصلون الجمعة ولا يعترفون بها كفرض . . ولا يتمسكون بالطهارة قبل أداء صلواتهم . . من وضوء ورفع جنابة . . فهم يقولون عن الجنابة (النجاسة) إنها موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطنى . . والطهارة على العكس من ذلك . . أى : معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطنى .

والنصيريون لا يؤدون صلواتهم فى المساجد . . فليست لهم مساجد يحرصون على أداء صلواتهم فيها . وإنما يصلونها فى بيوتهم . ويجتمع النصيريون فى فترات معينة وفى بيوت معلومة ، وهذا الاجتماع أو المجمع يسمونه (عيداً) وفيه يجتمع شيوخهم بهم ، فيتلون على مسامعهم بعض القصص والأخبار والمعجزات الخرافية لأئمتهم . ولابد لكل نصيرى من أن يخصص لنفسه يوماً معلوماً يسمونه — كما أسلفنا — بالعيد . ويقوم صاحب (العيد) فى ذلك اليوم بتقديم ما يطلب منه ، ويقال : بأن الحابل يختلط بالنابل فى ذلك اليوم .

وفى هذا المجمع . . وبعد سماعهم لما يتلى عليهم من قصص خرافية يقومون بأداء بعض الطقوس والقداسات والصلوات القريبة الشبه بقداسات وصلوات المسيحيين .

من ذلك مثلا . . قُدّاس يسمى (قداس الطيب لكل أخ حبيب) يقولون فيـــه :

« أيها المؤمنون . . اسمعوا وأطيعوا وانظروا إلى مقامى هذا

الذى فيه (نحن) مجتمعون . انزعوا الغل والحسد من قلوبكم ، يكمل لكم دينكم ، ويستجيب الله لدعائكم . . واعلموا أن الله حاضر موجود بينكم يسمع ويرى ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ .. إياكم يا مؤمنين من الضحك والقهقهة فى أوقات الصلاة مع الجهال فنها تحبط الأعمال وتتغير الأحوال ، لأنها من طريق إبليس اللعين لعنه الله تعـــالى .

اسمعوا ما يقول لكم الإمام لأنه قائم فيكم فى طاعة العلى العلام . . إن هذا قداس الطيب بعد عقد النية على الصلاة الحقيقية التى خص بها السيد المسيح إلى سين . . عطاء كل نفس هواها . قال فى القداس المبارك : سبحان من جعل من الماء كل شىء حى ، سبحان من يحيى الموت فى صرصر[1] بقدرته ، العلى الكبير ، الله أكبر ! أسألك اللهم مولاى بحق هذا قداس الطيب ، بحق السيد محمد الحبيب ، الذى أخضر فى يده القضيب أن تحل فى دياركم البركة ، يا أصحاب هذا الفضل ، وهذا الطيب ، ونقدس أرواح إخواننا المؤمنين ، البعيد منهم والقريب . يا مولاى ، يا أمير النحل ، يا على ، يا عظيم ! » [2] .

(١) الصرصر : حيوان شبيه بالجراد ، وقيل هو الجدجد . والصرصر أيضاً هو الديك وهو كذلك : العظيم من الإبل . وفراشة لها أجنحة بين السواد والحمرة . والريح الصرصر : هى الشديد الهبوب .

(٢) انظر ص ٤٩٠ فى كتاب (مذاهب الإسلاميين) ونقلها بدوره عن المستشرق كتفاجو وكان قد نشر نصوص ثلاثة قداسات فى (ZDMG) المجلد الثانى سنة ١٨٤٨ . من ص ٣٨٨ – ٣٩٤ مع ترجمة ألمانية .

وقد أورده الإسماعيلى (مصطفى غالب) بصيغة أخرى فى مقدمة كتاب الهفت الشريف [1] ونصه كما يلى :

« قداس الطيب لكل أخ حبيب . . أيها المؤمنون . . اسمعوا وادعوا وانظروا إلى مقامكم الذى أنتم فيه مجتمعون ، وانزعوا الغل والحقد من قلوبكم ، والحسد من صدوركم ، ليكمل لكم دينكم فى معرفة معينكم ، واعلموا أن الله حاضر معنا يسمع ويرى ، عليم بذات الصدور ، العزيز الغفور ، إياكم يا مؤمنين من الضحك والقهقهة فى أوقات الصلاة مع الجهال ، فإنها تحبط الأعمال وتغير الأحوال ، لأنها طريق إبليس لعنه الله .

الله أكبر قد قامت الصلاة لأربابها ، وثبتت الحجة على أصحابها أقمها يا ربى وأدمها . واجعل السيد محمد [2] ختامها . والسيد سلمان زكاتها ، والمؤمنين دليلها ، والعاملين سبيلها ، وأبا ذر شمالها والشيخ على الصورى جبينها » .

ولهم قداس آخر يسمى (قداس البخور فى روح ما يدور فى محل الفرح والسرور) يقول : « كان سيدنا محمد بن سنان الزهرية يقوم بالصلاة مرة ومرتين ، فى يده ياقوتة حمراء ، وقيل مرجانة صفراء ، يبخر بها عبد النور ويقول : يا أيها المؤمنون ! بخروا أقداحكم ، انجزوا أعمالكم ، تنالوا بها الآمال . ويقول [بأجمعكم] الحمد لله الذى جعل نوره تاماً ، وفضله عاماً علينا وعلى سائر

(١) انظر الهفت الشريف ص ٢٣ .

(٢) هكذا وردت بالأصل والأصح : محمداً .

إخواننا ، براح وريحان ، وجنة الله والنعيم ، أسألك اللهم مولاى ! بحق هذا قداس البخور ، وبحق البراء بن معروف ، وبحق المدنى وتلميذه أبى الطاهر سابور تحل فى دياركم البركة يا أصحاب هذا الفضل وهذا البخور يا أمير النحل ، يا على ، يا عظيم ! » .

هكذا أورده د. عبد الرحمن بدوى فى كتابه (مذاهب الإسلاميين)[1] نقلاً عن المستشرق الألمانى (كتفاجو) . . وأورده الإسماعيلى مصطفى غالب فى مقدمة (الهفت الشريف) [2] بنص مختلف وهو :

« قداس البخور . . بينما يدور فى البيت المعمور . . كان السيد محمد بن سنان الزاهرى . . يبخر بأقداح المؤمنين ، ويبخر بها عبد النور ، وكان معه ياقوتة حمراء ، وقيل صفراء ، فبخروا أقداحكم أيها المؤمنون ، لعلكم تنالون السعادة والهناء والفوز بالمنى ، وأشهد أن مولاى مولاك ، على بن أبى طالب لا حال ولا زال ولا انتقل من حال إلى حال . بل هو الكريم المقيم على كل حال »اه.

ولهم قداس ثالث يسمى : (قداس الأذان . . وبالله المستعان) ويقول : « الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً . وجهت وجهى إلى محمد المحمود ، طالباً سره المقصود ، المتقرب بتجلى الصفات ، وعين الذات ، وفاطر الفطر ، ذو الجلال والحسن ، ذو الكمال ، اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم الخليل

(١) انظر ص ٤٩٢ فى كتاب (مذاهب الإسلاميين) .

(٢) الهفت الشريف ص ٢٢ .

هو الذى سماكم مسلمين ، حنيفاً مسلماً ، ولا أنا من المشركين . دينى سلسل . طاعة إلى القديم الأزل . أقر كما أقر السيد سلمان ، حين أذن المؤذن فى أذنه وهو يقول : شهدت أن لا إله إلا هو العلى المعبود ، ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود ولا باب إلا السيد سلمان الفارسى ، ولا ملائكة إلا الملائكة الخمسة الأيتام الكرام ، ولا رب إلا ربى ، شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبى سفينة النجاة ، وعين الحياة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، تفلحوا يا مؤمنون ، حى على خير العمل ، يعينه الأجـــل .

الله أكبر ! الله أكبر ! قد قامت الصلاة على أربابها ، وثبتت الحجة على أصحابها ، الله مولاى ! يا على ! أسألك أن تقيمها وتديمها ما دامت السموات والأرض ، وتجعل السيد محمد ختامها والسيد سلمان زكاتها والمقداد يمينها ، وأبا ذر شمالها .

نحمد الله بحمد الحامدين ، ونشكر الله بشكر الشاكرين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . أسألك اللهم مولاى بحق هذا قداس الأذان ، وبحق متى وسمعان ، والتواريخ والأعوام ، بحق يوسف بن ما كان ، بحق الأحد عشر كوكباً الذين رآهم يوسف بالمنام (أن) تحل فى دياركم البركة بالتمام[1] » .

هكذا أورده الدكتور عبد الرحمن بدوى نقلا عن المستشرق

(١) انظر ص ٤٩٣ فى كتاب (مذاهب الإسلاميين) .

الألمانى (كتفاجو) وهو مختلف عما أورده الإسماعيلى مصطفى غالب فى مقدمة كتاب الهفت الشريف إذ جاء فيه :

« قداس الأذان وبالله المستعان . . يقولون فيه : وجهت وجهى إلى محمد المحمود ، وطالب سره المقصود ، وظله المحدود ، إياكم يامؤمنين ، اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم الخليل حنيفاً.. مسلماً ولا أنا من المشركين . ديناً سلسلا وطاعتى إلى قديم الأزل ، وروحى بدت من روح الإحياء ، وأقرت به كما أقر به سيدنا سلمان الفارسى لما بلغ أذان فى أذنيه وهو يقول : لا إله إلا مولاى على المعبود . ولا باب إلا باب السيد سلمان الفارسى المقصود . ولا حجاب إلا حجاب السيد محمد المحمود . اللهم صلى على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الملأ والدين وقيل الحمد لله رب العالمين » (١) .

أما فرقة (البناوية) وهم أتباع (سلمان المرشد) وابنه : مجيب فلهم أدوار خاصة يرتلونها فى صلواتهم من ضمنها (سورة الصلاة المرشدية) . وينسبونها إلى : مجيب المرشد . وهى تبشير بالاستعمار – على حد قول الدكتور مصطفى الشكعة – أكثر منها دعوة دينية جادة . ويقولون فيها :

« تسبيح إلى مولانا مجيب بن سلمان المرشد . . الرب العظيم مولانا لك العزة والمجد ، والتهليل والتكبير ، سبحانك ربنا ،

---

(١) الهفت الشريف ، ص ٢٢ – ٢٣ .

أشياعك الذين يسبحونك وينزهونك عن الصورة البشرية وأنت أنت وعدتنا قبل أن تصعد إلى سمائك ، وتجلس على عرشك العظيم ، كما أنك وعدتنا وأنت خير من يوعد . . بأن ترسل على الذين يظلمون من الحكام والبشر النقمة والغضب . . وتنقذنا من يدى الأشرار . . كما قلت : إننى سأجعل لكم من لدنى عوناً ونصيراً غريباً عن دينكم !! ؟ وغريباً عن وطنكم ؟ ! ليكون سنداً لكم إلى يوم الحساب . . إننا ثابتون على صحة يقيننا وعلى صحة هذا الدين ، ولا نشك بوعودك الصادقة ، إنك كريم رحيم يا مولانا ، يا مجيب المرشد . . سبحانك أنت الرب العظيم . ارحمنا من الحكام الأشرار ، وأرسل لنا الذين وعدتنا بهم ، ينقذوننا من الحكام الفجار ، والقوم الأشرار . . إنك على ذلك لقدير ، لقد بزغت شمس وجودك من المغرب ؟ ! كما كان غيابك فى المغرب ، مولانا أرسل لنا الجحافل والناصرين ، لانقاذنا من الظالمين ، الذين يمنعوننا من عبادتك ، وعن مد يد التسبيح لأهل بيتك ، إنك على ذلك لقدير نختم دعاءنا بكلمة سبحانك إنك أنت الرب العظيم » (١) . أو كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا » . .

ومن هؤلاء النصراء والأعوان الذين سيأتون من المغرب . . غير المستعمرين ؟ .

---

(١) انظر ص ٣٠٩ - ٣١٠ فى كتاب (إسلام بلا مذاهب) . ونقل نص هذه الصلاة من كتاب محمد المجذوب (أخوتنا فى جبال اللاذقية) .

هذه صورة عن الأدعية والقداسات التى يرددونها فى مجامعهم الخاصة بهم وفى صلواتهم . . التى لا تشبه صلاة المسلمين فى قليل أو كثير .

ومع أن الدكتور مصطفى الشكعة ذكر فى كتابه (إسلام بلا مذاهب) : « أن رجال الدين تسرى عليهم جبرية التكاليف أما غيرهم من جهال النصيريين فليسوا بمكلفين » إلا أننى أخالفه الرأى فى ذلك . . فالتكاليف ومنها الصلاة قد تكون جبرية على النصيرى المتدرج فى مراحل (الجهال – التعليق – السماع) إلى أن يصل إلى مرحلة (الشيخ) فحينذاك يكون قد عرف (الباطن) ومن عرف الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر . . أى العبادات بأنواعها ورفعت عنه الأغلال والأصفاد . . لأن الأغلال والأصفاد لم توضع إلا على المقصرين الذين لم يتمكنوا من معرفة الباطن بعد . ولقد أحسن (الظاهر بيبرس) الظن بهم ، إذ أمر أن تبنى لهم الجوامع فى قراهم ومواطنهم ، وذلك فى القرن السابع الهجرى تقريباً . . فبنى لهم الجوامع فى قراهم ، وأماكن إقامتهم ، وما كانوا يدخلونها . . وقد زارها الرحالة المعروف (ابن بطوطة) فى القرن التاسع تقريباً . . فوجدها حظائر للغنم ، واصطبلات للدواب. وفعل نفس الشيء السلطان عبد الحميد الثانى إذ بنى لهم الجوامع ولكن لم يلبثوا أن خربوها وأهانوها .

أما الزكاة . . فبالإضافة إلى أنهم يفسرونها تفسيراً باطنياً يختلف عن معناها عند المسلمين ، إلا أنهم يقومون بدفع ضريبة إلى

مشايخهم ومقدارها – كما يدعون – خمس ما يملكه كل فرد من أفراد الطائفة . . من عروض التجارة والمواشى والمحاصيل الزراعية وحتى من مهور بناتهم .

والصيام عندهم ليس امتناعاً عن الأكل والشرب ، بل هو امتناع عن معاشرة النساء . . فقط . . طوال شهر رمضان . ولا يعترفون بفريضة الحج . . بل يعتبرون الحج إلى بيت الله الحرام كفراً . . وعبادة أصنام .

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوى [1] أنه توجد خلاصة وافية لتعاليم النصيرية وعقائدها فى كتيب صغير بعنوان : (كتاب تعليم ديانة النصيرية) ومنه مخطوط فى المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (٦١٨٢) وهو على طريقة السؤال والجواب . . ويتألف من (١٠١) سؤال . وهذه الأسئلة تتألف من قسمين : قسم نظرى . . وقسم عملى . وسأورد طائفة من أسئلة القسم النظرى مع خلاصة الإجابات عنها ... لتتضح الصورة أمام القارئ الكريم . . وسأذكر رقم السؤال حسب تسلسله فى (كتاب تعليم الديانة النصيرية) .

س ١ – من الذى خلقنا ؟ .

ج – على بن أبى طالب أمير المؤمنين .

س ٢ – من أين نعلم أن علياً إله ؟ .

---

(١) انظر ص ٤٧٤ فى كتاب (مذاهب الإسلاميين) .

ج — مما قاله هو عن نفسه فى خطبة البيان . . وهو واقف على المنبر ، إذ قال : « أنا سر الأسرار ، أنا شجرة الأنوار ، أنا دليل السموات ، أنا أنيس المستجاب ، أنا سائق الدعوة ، أنا شاهد العهد ، أنا زاجر القواصف ، أنا محرك العواصف ، أنا مزن السحائب ، أنا نور الغياهب ، أنا حجة الحجج ، أنا ميمن الأمم ، أنا سبب الأسباب ، أنا مسدد الخلائق ، أنا محقق الحقائق ، أنا جوهر القدم ، أنا مرتب الحكم ، أنا الأول والآخر ، أنا الباطن والظاهر ، أنا جامع الآيات ، أنا سريرة الخفيات ، أنا ساجر البحر ، أنا مفجر الأنهار ، أنا مؤول التأويل ، أنا مفسر الإنجيل ، أنا أم الكتاب ... أنا فصل الخطاب ... » (١) .

س ٣ — من الذى دعانا إلى معرفة ربنا ؟

ج — محمد كما قال هو فى خطبة فتحها بقوله : « إنه (أى على) ربى وربكم » .

س ٤ — إذا كان هو (أى على) الرب ، فكيف تجانس مع المتجانسين ؟ (أى اتخذ صورة إنسانية) .

ج — إنه لم يتجانس ، بل احتجب فى محمد ، فى دور تحوله ، واتخذ اسم على .

س ٥ — كم مرة تحول ربنا ليتجلى فى صورة إنسانية ؟ .

ج — سبع مرات . . فقد احتجب :

---

(١) انظر ص ١٠٤ فى كتاب (الإنسان الكامل فى الإسلام) .

(أ) فى شخص آدم باسم هابيل .

(ب) وفى شخص نوح باسم شيت .

(ج) وفى شخص يعقوب باسم يوسف .

(د) وفى شخص موسى باسم يوشع .

(ه) وفى شخص سليمان باسم آصف .

(و) وفى شخص عيسى باسم بطرس .

(ز) وفى شخص محمد باسم على .

س ٤٣ — ما أسماء مولانا أمير المؤمنين فى مختلف اللغات ؟

ج — سماه العرب باسم (على) ، وهو نفسه سمى نفسه : أرسطوطاليس ، وفى الإنجيل اسمه إيليا (إلياس) ومعناه : على الهنود يسمونه ابن كنكرة ... إلخ .

س ٤٧ — ما أسماء أولاد مولانا من حيث هو إنسان ؟

ج — الحسن والحسين . وبناته : زينب وأم كلثوم .

س ٥٠ — لماذا نسمى مولانا باسم (أمير النحل) ؟

ج — لأن المؤمنين الصادقين (أى النصيريين) هم مثل النحل الذين يشتارون من أحسن الأزهار ولهذا سمى أمير النحل .

س ٦٦ — ما أسماء النجباء فى العالم الصغير الأرضى ؟

ج — يورد (٢٥) إسماً أولها أبو أيوب .. وآخرها : عبد الله ابن سبأ (اليهودى اليمانى) .

س ٧٢ — ما القرآن ؟

ج — هو المبشر بظهور مولانا فى صورة بشرية .

س ٧٤ — ما علامة إخواننا المؤمنين الصادقين ؟

ج — ع . م. س : وَ (ع) تدل على (على) و (م) على محمد . و (س) على سلسل (أى سلمان) .

س ٧٦ — ما القداس ؟

ج — تقديس الخمر ، التى تشرب على صحة النقباء أو النجباء

س ٧٧ — ما القربان ؟

ج — تقديس الخبز الذى يتخذه المؤمنون الصادقون ذكرى لأرواح إخوانهم ، ومن أجلهم يقرأون القداس .

س ٧٩ — ما هو سر الله الأعظم ؟

ج — هو سر الجسد والدم الذى قال عنه يسوع « هذا جسدى وهذا دمى ، فكلوا منهما ، تظفروا بالحياة الدائمة » (١) .

س ٨٦ — هل يحق للمؤمن أن يبوح لإنسان آخر بسر الأسرار؟

ج — لا يبوح به إلا لإخوانه فى الدين ، وإلا باء بسخط الله

س ٩٠ — ما اسم الخمر المقدس الذى بشر به المؤمنون ؟

ج — اسمه : عبد النور .

س ٩٣ — وما النور ؟

ج — هو المعنى الباقى المحتجب بالنور .

---

(١) انظر إنجيل متى ، ج ٢٦ ، ص ٢٦ — ٢٧ . مرقص ج ١٤ ، ص ٢٢ — ٢٥ .

س ٩٤ – إذا احتجب مولانا بالنور فأين يظهر ؟

ج – فى الخمر ...

ونكتفى لهذه الأسئلة مع إجاباتها المختصرة ولعلها ساعدت فى تكوين صورة واضحة عن الخرافات والأساطير الوثنية التى تضمنها هذا المذهب الملفق .

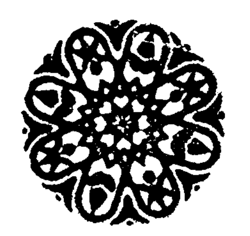

الأعياد النصيرية

للنصيريين عدة أعياد بعضها خاص بهم والبعض الآخر مشترك بينهم وبين الشيعة بعامة .. وأهمها : —

(ا) عيد الغدير : ويحتفلون به فى ١٨ من ذى الحجة . وهو عيد عند الشيعة عامة . « وسبب اتخاذهم له : مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم لعلى — كرم الله وجهه — يوم غدير خم . وهو غدير على ثلاثة أميال من الجحفة ، يسرة الطريق تصب فيه عين ، وحواله شجر كثير وهى الغيضة التى تسمى (خُماً) . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من حجة الوداع نزل بالغدير وآخى بين الصحابة ، ولم يؤاخ بين على وبين أحد منهم ، فرأى النبى — صلى الله عليه وسلم — منه انكساراً فضمه إليه وقال : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » . والتفت إلى أصحابه وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وكان ذلك فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة . والشيعة يحيون ليلة هذا العيد بالصلاة ، ويصلون فى صبيحتها ركعتين قبل الزوال .. وشعارهم فيه لبس الجديد ، وعتق العبيد ، وذبح الأغنام وإلحاق الأجانب بالأهل فى الإكرام ، والشعراء والمترسلون يهنئون الكبراء منهم بهذا العيد » [1] .

---

(١) انظر ص ٤٠٧ من الجزء الثانى فى كتاب (صبح الأعشى) القاهرة ١٩١٣ .

لهذا السبب يحتفل الشيعة بهذا اليوم ، أما النصيريون فيزعمون أنه ذكرى استخلاف النبي لعلى . ويقولون : إن بيعة غديرهم .. أثبتت مكانة مقدسة وعلوية .. لعلى .. بنزول قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ وكمال الدين هو ولاية على .. ويقولون : إنه لما أعلن كمال الدين كان لا يزال بعض العقائد مكتوماً وخفياً ، ولذلك بقى إلى هذا اليوم مكتوماً لخصوصيته ، وبتعبير أصح إن بقاء عقيدة النصيريين مكتومة هو من كمال الدين ، وإعلانها مضر به ، لأن الرسول بشر المؤمنين بولاية على ، وبذلك كمل الدين .. ولكنه بقى حريصاً على كتمان البقية ، ولذلك كان كتمان البقية من كمال الدين أيضاً . وهذا هو تعليل تكتم النصيريين فى عقيدتهم ، وهم يقولون أيضاً : إن بنى هاشم كانوا يعرفون فى زمن النبى أحكاماً ما كان يعرفها الأمويون ! وأن أهل البيت تعلموا علوماً لم يسمعها غيرهم .. وذلك حين بايع الرسول صلى الله عليه وسلم علياً ثلاث بيعات خفية .. وهى : بيعة الدار ، وبيعة الخيزرانه — وبيعة أم سلمى . فبيعة خديرخم العلنية : لم تكن إلا لإفشاء بعض حقوق أهل البيت والأمر باتباعها واحترامها (١) .

(ب) عيد الفطر : ويحتفلون به فى أول شوال مثل سائر المسلمين (يقصد الشيعة) .. وقد شرع النبى هذا العيد فى السنة الثانية للهجرة . . وهـــو والأضحى شرعا فى نفس السنة ، لكن النصيرية : لا يحتفلون به بعد صوم رمضان .. وإنما بعد الصوم الذى

---

(١) انظر ص ٧٠ — ٧٥ فى كتاب (تاريخ العلويين) .

يعتقدونه ، ومن هنا اختلف تماماً عن عيد فطر المسلمين) [1] .

(ج) عيد الأضحى : ويحتفلون به فى الثانى عشر من ذى الحجة. بينما سائر المسلمين يحتفلون به فى العاشر من ذى الحجة .

(د) عيد عاشوراء : ويحتفلون به مع الشيعة فى العاشر من محرم .. وهو ذكرى مصرع الحسين بن على رضى الله عنه فى كربلاء .. لكن النصيرية يعتقدون : أن الحسين لم يمت .. بل اختفى مثل عيسى بن مريم ..

(هـ) عيد الغدير الثانى : يوم المباهلة ... أو يوم الكساء ويحتفلون به فى التاسع من ربيع الأول .. وفى هذا اليوم اجتمع الرسول بوفد من بنى بالحارث المسيحيين من نجران .. وجمع أهله الخمسة (هو وحفيديه وابنته وزوجها) ودثرهم بدثاره وقرأ من سورة آل عمران ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين ﴾ آل عمران والنصيريون يربطون بين الخمسة أشخاص هؤلاء وبين الصلوات الخمس الخاصة بهم ، وخصوا كل واحد منهم بصلاة [2] .

(و) عيد النوروز (أى اليوم الجديد) ويحتفلون به فى أول الربيع . وهو عيد فارسى الأصل [3] .

---

(١) انظر ص ٤٠٧ فى الجزء الثانى من كتاب (صبح الأعشى) .
(٢) انظر ص ١١١ فى كتاب (الألوهية فى المعتقدات الإسلامية) .
(٣) انظر ص ٤٠٨ – ٤٠٩ فى الجزء الثانى من (صبح الأعشى) .

(ى) عيد المهرجان : ويحتفلون به فى أول الخريف وهو عيد فارسى أيضاً [١] .

ويشاركون المسيحيين فى عدة أعياد مثل : عيد الغطاس وعيد السعف ، وعيد العنصرة ، وعيد القديسة بربارة ، وعيد الميلاد [٢].

ويصادف رأس السنة الشرقية عند الأرثذوكس ، ويقدمون فيه النبيذ ولحم البقر [٣] .

وعيد الصليب : ويحتفل النصيريون به ويجعلونه تاريخاً لقطف الثمار وبدء الزراعة ، ويجعلون منه تاريخاً لبداية معاملاتهم بعضهم مع بعض كدفع أجور الرعى والمساكن والمخازن وما إليها .. ويتوجهون فى هذا العيد إلى المعارض المقامة فى الأديرة لشراء لوازمهم مثل : معرض دير الحميراء فى — تل كاخ — ، ومعرض دير (مار إلياس) فى صافيتا [٣] .

---

(١) انظر ص ٤٠٩ فى الجزء الثانى من (صبح الأعشى) .
(٢) انظر ص ٤٦١ فى كتاب (مذاهب الإسلاميين) .
(٣) انظر ص ٣١٥ فى كتاب (إسلام بلا مذاهب) .

بين النصيريين والدروز

يتفق النصيريون والدروز فى شيء من عقائدهم ويختلفون فى أشياء كثيرة . فمن الأمور التى يتفقون فيها .. أن عقيدة كل من الطائفتين باطنية مغالية ، ولا يطلعون أحداً على أسرار مذهبهم وكتبهم السرية .. ولا يسمحون لأحد بالدخول فى مذهبهم أو الخروج منه ... ولا يأخذون بظاهر الألفاظ إنما يؤولونها إلى معانى لا تحتملها هذه الألفاظ .. فلا بعث ولا حساب ولا عقاب ولا جنة ولا نار عند الطائفتين بالمعنى الذى يفهمه المسلمون . « فيوم الحساب فى العقيدة الدرزية .. ليس يوم قيامة .. لأن الأرواح لا تموت لتبعث ، ولا تنام لتوقظ .. بل إن يوم الحساب فى مفهومهم هو نهاية مراحل الأرواح وتطورها .. إذ يبلغ التوحيد — أى العقيدة الدرزية — غايته بالانتصار على العقائد الشركية ، وينتهى الانتقال والمرور فى الأقمصة المادية لتصل الأرواح الصالحة بالعقل الكلى »(١) .

وأما العذاب فيكون فى انتقال روح الإنسان بعد وفاته من درجة عالية إلى درجة دونها فى الدين .. مع ما يصيبه من ضنك فى معيشته وعمى قلب فى دينه ودنياه .

أما الثواب فيكون فى ارتقائه من درجة دنيا إلى درجة أعلى

---

(١) إسلام بلا مذاهب ص ٢٨٢ .

منها إلى أن يبلغ حد المكاسرة [1] ويزاد له فى ماله مع ارتقائه فى الدرجات الدينية إلى أن يبلغ حد الإمامة .

ولا تختلف عقيدة النصيريين عن عقيدة الدروز فى ذلك إلا فى شيء يسير [2] وفى تسميتهم . انتقال الروح من بدن إلى بدن . . فبينما يسميه الدروز بالتقمص .. يسميه النصيريون بالتناسخ .. إذا انتقلت الروح من بدن إنسان إلى بدن إنسان آخر .. أما إذا انتقلت إلى بدن حيوان فإنهم يسمونه مسخ .. وإذا انتقلت إلى جسم حشرة فهو فسخ وإذا انتقلت إلى الشجر والنبات فهو رسخ .

وينكر الدروز على النصيريين قولهم بالمسخ والفسخ والرسخ إنكاراً شديداً ، حتى أنهم استبدلوا لفظة (التناسخ) بالتقمص ... لاعتبارهم أن التناسخ يتضمن المسخ .

فالجسد البشرى فى عقيدة الدروز ثوب أو قميص للروح . . تتقمصه الروح عند الولادة .. وتنتقل منه بالموت فوراً إلى جسد مولود إنسانى آخر ... وهكذا تظل بعد كل موت تخلع به الثوب الميت البالى وتلبس ثوباً جديداً إلى نهاية الأجيال [3] .

وبينما يفسر الدروز الجنة بأنها : معرفة الدعوة الهادية (أى الدعوة الدرزية) وبأن الجحيم هو الكفر والجهل بها ... يقول

---

(١) المكاسر : درجة من درجات الدعوة الدرزية .

(٢) انظر الفصل الموسوم بـ (عقيدة النصيرية) ، ص ٣٤ من هذا البحث .

(٣) انظر ص ٦٠ – ٦٢ فى كتاب (مذهب الدروز والتوحيد) .

النصيريون بأن الجنة هى معرفة ألوهية مولاهم ــ على بن أبى طالب ــ والجحيم : هو الكفر والجهل بها . وتتفق الطائفتان فى أن الوضوء والطهارة ليست ضرورية لمزاولة العبادات .. التى يمارسونها ــ حسب مفهومهم ــ (فالدين الدرزى دين صوفى يعتمد على الداخليات والجواهر .. ولا يهتم بالشكليات . والطهارة الداخلية .. أى : النفسية الروحية هى الأساس ، أما الطهارة الخارجية فلا قيمة لها) حسب تعبير الدرزى كمال جنبلاط [1]. أما النصيريون فيقولون بأن النجاسة هى : موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطنى ، والطهارة معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطنى والصلاة عند الدروز .. هى : صلة قلوبهم بتوحيد مولاهم الحاكم بأمر الله .. يقول (حمزة ابن على) فى رسالة له مخاطباً الدروز بقوله : ــ (الصلاة هى صلة قلوبكم بتوحيد مولانا جل ذكره (الحاكم بأمر الله) لا شريك له)[2] أما النصيريون فقد ذكرنا فى فصل سابق (عبارات النصيريين) مفهومهم للصلاة .

وصيام الدروز لا يختلف عن صيام النصيريين فى كيفيته بل فى توقيته . فأفراد الطائفتين يمتنعون وقت الصيام عن معاشرة نسائهم فقط . . ولا يمتنعون عن الأكل أو الشرب .. وبينما يكون وقت صيام النصيريين فى رمضان .. يصوم الدروز عشرة أيام من ذى الحجة تنتهى بعيد الأضحى الذى يحرصون على إقامة الاحتفالات فيه.

---

(١) إسلام بلا مذاهب ص ٢٨٨ ــ ٢٩١ .

(٢) انظر ص ٧١٧ فى مذاهب الإسلاميين جـ ٢ .

أما الحج .. فكلتا الطائفتين لا تؤمنان بمناسكه .. فبنما يرى فيه الدروز ظاهرة وثنية يعتبره النصيريون كفراً وعبادة أصنام .

ومع توافق الدروز ذوى الأصول الإسماعيلية مع النصيريين ذوى الأصول الإمامية فى بعض العقائد إلا أنهم مختلفون أشد الاختلاف فى كثير من الأمور ..

ولنعرف بالتحديد وجهة نظر الدروز بالطائفة النصيرية لا بد من الرجوع إلى إحدى رسائل الدروز وهى رسالة (السؤال والجواب) [1] إذ يقول السؤال رقم (٤٤) بالنص :

س ٤٤ – كيف انفصل النصيرية عن الموحدين (الدروز) وخرجوا من دين التوحيد ؟ .... ويقول الجواب :

جـ – انفصلوا بدعوى النصيرى لهم .. حيث زعم أنه عبد مولانا أمير المؤمنين (على) .. وأنكر لاهوت مولانا الحاكم (بأمر الله) ، (أى أنكر حلول الإله بشخص الحاكم) واعترف بلاهوت على بن أبى طالب . وقال : إن اللاهوت ظهر فى الأئمة الإثنى عشر .

ثم يقول الجواب : وأن النصيرية كلما صفى منهم واحد (أى وصل بالتناسخ إلى درجة الاصطفاء) يرجع ويصير نجماً فى السماء وهو مركزه الأول . وإن عمل معصية (أى النصيرى) تخالف الوصية على أمير المؤمنين الرب الأعلى ، يعود (أى تحل

---

(١) مذاهب الإسلاميين ص ٨٢٣ .

روحه عن طريق التناسخ) فى جسد يهودى أو مسلم سنى أو نصرانى ، ثم يتكرر (لكى يتطهر من ذنبه) إلى أن يظهر مثل الفضة (وبعد أن ينال عقابه عن طريق حلول روحه فى جسد غير نصيرى) يرجع ويصير نجماً فى السماء .

وأن الكفرة (أى غير النصيريين) الذين ما عبدوا علياً بن أبى طالب كلهم يصيروا جمالا وبغالا وحميراً وكلاباً وخرفاناً للذبح وأمثال ذلك .. (أى : يصيبهم المسخ .. فتنتقل أرواحهم بعد موتهم من أبدانهم الإنسانية فتحل فى أجساد الحيوانات السالفة الذكر ..) لكن الوقت إلى شرحها ضيق ، وخاصة انتقال نفوس البشر إلى البهائم والحيوانات . . ولهم مناقب وكتب كفرية مثل ذلك »[1] . وكان أحد النصيريين قد وجه كتاباً إلى الدروز آخذاً عليهم تحليل كثير من المنكرات .. وسماه (كتاب الحقائق وكشف المحجوب) فرد عليه (حمزة بن على) (الذى يعتبره الدروز المسيح الحقيقى الحى الأبدى) [2] فى رسالة تحت عنوان : — (الرسالة الدامغة للفاسق ، والرد على النصيريين (المارقة) لعنه الله فى كل كور ودور) [3]. ومما جاء فيها :

« وأدى ما قاله هذا النصيرى فى كتابه السابق الذكر هو أن

---

(١) مذاهب الإسلاميين ص ٨٢٣ .

(٢) طائفة الدروز ص ١١٢ .

(٣) الرسالة مخطوطة تحت رقم ١٤٢٣ عربى بباريس .
انظر ص ٨١٦ فى مذاهب الإسلاميين .

جميع ما حرموه – يقصد ما حرمته سائر الأديان – من القتل والسرقة والكذب والبهتان والزنا واللياطة بالذكور فهو مطلق للعارف (أى للدرزى) والعارفة بمولانا جل ذكره » ويرد حمزة على هذا فيقول :

(إنه كذب بالتنزيل والتأويل وحرف إذ لا تجوز السرقة ولا القتل ولا الكذب . فالصدق من الإيمان كالرأس من الجسد . وأما قوله (أى النصيرى) بأنه يجب على المؤمنة (أى الدرزية) ألا تمنع أخاها فرجها ، وأن تبذل فرجها له مباحاً حيث شاء وأنه لا يتم نكاح الباطن إلا بنكاح الظاهر ونسبه إلى توحيد مولانا جل ذكره (أى نسبه إلى العقيدة الدرزية) .. فقد كذب على مولانا عز اسمه وأشرك به وألحد فيه ، وحرف مقالة أوليائه الموحدين .

وأما قوله – أى النصيرى – : (بأن أرواح النواصب والأضواء ترجع (أى تحل) فى الكلاب والقردة والخنازير إلى أن ترجع فى الحديد وتحمى وتضرب بالمطرقة ، وبعضهم فى الطير والبوم . . وبعضهم ترجع إلى الامرأة التى تثكل ولدها ...)

فقد كذب على مولانا جل ذكره وآتى بالبهتان العظيم . . فلا يدخل فى المعقول . . ولا يجب فى عدل مولانا سبحانه بأن يعصيه رجل عاقل لبيب فيعاقبه فى صورة كلب أو خنزير .. وهم لا يعقلون ما كانوا عليه فى الصورة البشرية ولا يعرفون ما جنوه ، ويصير حديداً يحمى ويضرب بالمطرقة فأين تكون الحكمة فى ذلك .. وإنما تكون الحكمة فى عذاب رجل يفهم ويعرف العذاب ليكون

مأدبة له وسببا لتوبته .. وأما العذاب الواقع بالإنسان فهو نقلته من درجة عالية إلى درجة دونها فى الدين ، وقلة معيشته ، وعمى قلبه فى دينه ودنياه ،، وكذلك نقلته من قميص إلى قميص على هذا الترتيب .. وكذلك الجزاء فى الثواب ما دام فى قميصه فهو زيادة درجته فى العلوم ، وارتقائه من درجة إلى درجة اللهوات .. إلى أن يبلغ إلى حد المكاسرة ، ويزيد فى ماله ، وينبسط فى الدين من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ حد الإمامة ..

فهذه أرواح الباطنية وثوابها ، وما تقدم أرواح الأضداد وعقابها ، والعمل الصالح مع الإخوان ينتفع به ويثاب عليه عاجلا وآجلا .. ويخشى من عقاب مولانا جل ذكره عاجلا وآجلا ، ويعمل الحسنات ، ويتجنب السيئات ..

ومن اعتقد التناسخ مثل النصيرية الملعونة .. فى على بن أبى طالب ، وعبده ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ».
ويقول (حمزة) :

ثم إنه (أى النصيرى) إذا ذكر علياً يقول : (علينا سلامه ورحمته) وإذا ذكر مولانا (الحاكم) جل ذكره يقول : علينا سلامه . فيطلب الرحمة من المفقود المعدوم — ويجحد الموجود الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته .. ولا يكون فى الكفر أعظم من هذا .. فصح عند الموحد العارف بأن الشرك الذى لا يغفر أبداً هو بأن يشرك بين على بن أبى طالب وبين مولانا جل ذكره . ويقول :

على : مولانا الموجود . ومولانا : هــو على . . لا فــرق بينهمــا .

والكفر ما اعتقده هذا الفاسق (النصيرى) من العبادة فى على ابن أبى طالب والجحود بمولانا جل ذكره [1] .

ونكتفى بما أوردناه للدلالة على عمق العداوة فيما بين الدروز والنصيريين مع وجود بعض التشابه فى عقيدة الطائفتين .

---

(١) انظر ص ٨١٦ – ٨٢٢ فى مذاهب الإسلاميين .

فرق النصيرية

انقسم النصيريون مع قلتهم إلى عدة فرق منها :

١ — الجرّانة : وينسبون إلى قرية جرانة الواقعة فى جبال بشراغي ... ويقال إنما سموا بذلك لأنهم كانوا يحفرون الصخور ويجعلونها كالأجران ليضعوا فيها الماء .. الذى كانوا يشربون منه أثناء عزلتهم فى الجبال للدعاء والعبادة .

واستمروا فى حمل هذا الاسم إلى أن ظهر رجل منهم واسمه الشيخ محمد بن يونس كلازو وذلك فى سنة ١٠١١ ﻫ فصاروا يعرفون باسم الكلازية .

ويقال بأن أتباع هذه الفرقة يعتقدون بحلول (على) فى القمر فهم يعبدونه لذلك .

٢ — الغيبية : وهم الذين رضوا بما قدر لهم فى الغيب وتركوا التوسل .. واستمروا يحملون هذا الاسم إلى أن ظهر رجل فى القرن التاسع من أبناء هذه الفرقة فى جهات أنطاكية .. واسمه (الشيخ على حيدر) فكثر أتباعه فغلب على الغيبيين اسم (الحيدرية)

٣ — الماخوسية : نسبة (للشيخ على الماخوس) وكان قد انشق عن فرقة الكلازية .. .

وقد انقسم هؤلاء إلى قسمين فيما بعد .. قسم ظل على ولائه

لتعاليم الشيخ على الماخوس ، والقسم الآخر تابع (سلمان المرشد) فى أضاليله ودعاويه .

٤ — النياصفة : نسبة إلى الشيخ ناصر الحاصورى من بلدة (نيصاف) .. وكان قد ظهر وبرز من بين العلويين فى جهات جبل الحلو ... فتبعته طائفة من العلويين فنسبوا إليه .

٥ — الظهوراتية : وهم الذين تابعوا الشيخ يوسف بن إبراهيم العبيدى .. المسمى (بالظهور) .

٦ — فرقة البناوية : وهم الذين التفوا حول سلمان المرشد .. وابنه مجيب من بعده .. ومن هذه الفرق .. من يقدس الشمس معتقدين أن علياً يقع فيها ، ومنهم من يقدس القمر .. زاعمين أن علياً يقع فيه ، ومنهم من يقدس الهواء .. لأنه لا يوجد محل خال من الهواء .. فالهواء هو الله ... إلى غير ذلك من الخرافات والأباطيل السائدة فى هذا المذهب الملفق ... والتى تفوق خرافات وأساطير اليونانيين القدماء [١] .

ويمت إلى النصيريين بصلة ما .. كل من الفرق التالية : (التختجية) فى غربى الأناضول ، وفرقة (العلى إلهية) المؤلهة لسيدنا على فى فارس وتركستان ، وفرقة (القزل باشية) أى ذوى الرؤوس الحمر فى شرق الأناضول ، وفرقة (البكتاشية) فى تركيا وألبانيا [٢]

---

(١) انظر ص ١١١ فى كتاب (الألوهية فى المعتقدات الإسلامية) . وانظر ص ٤٧٣ — ٤٧٤ فى كتاب (تاريخ العلويين) .

(٢) انظر (تاريخ الإسلام السياسى) جـ ٢ ، ص ٢٦٥ — ٢٦٧ .

النصيرية وتناسخ الأرواح

تضم الطوائف الغالية دوائر فكرية مختلفة ومتنوعة تعكس صوراً من الآراء والأفكار القديمة التى اصطدم بها الإسلام فى الأراضى المفتوحة ، .. والطوائف الغالية على كثرتها لم تفلح فى إقامة دول وإمارات ، وإنما اقتصر أثرها على حركات فتن وتمرد وعصيان ، وأفكار هدامة تتميز بنزعة التلفيق والاستمداد من مصادر فكرية مختلفة ومتباينة ، ومثلت غزواً فكرياً كاد يشوب صفاء العقيدة الإسلامية فى القرنين الأولين لولا الجهود المخلصة الواعية التى بذلها رجال المعتزلة وغيرهم من المفكرين المسلمين فى تفنيد آرائهم والرد عليها .

ومن ضمن ما نراه فى دوائر هذه الفرق والطوائف الغالية .. فكرة التناسخ .. ففرقة المعمرية — (الذين انشقوا عن فرقة الخطابية التى أسسها أبو الخطاب وكان خادماً عند جعفر الصادق) — والذين استحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات . . (كانوا ينكرون القيامة ويقولون بتناسخ الأرواح ، وأنهم لا يموتون بل يرفعون بأبدانهم إلى الملكوت .. (١) .

---

(١) ص ١١٥ فى (الألوهية فى المعتقدات الإسلامية) ، والملل والنحل جـ ١ ، ص ٢٠١٥ .

وفرقة الجناحية . . الذين قالوا بألوهية عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كانوا يزعمون (أن الأرواح تناسخت من شخص إلى شخص ، وأن الثواب والعقاب فى هذه الأشخاص إما أشخاص بنى آدم وإما أشخاص الحيوانات) [1] .

وكذلك اعتنقت فرقة البيانية .. أصحاب – بيان بن كعان الهندى – مذهب التناسخ .. ثم ادعى (بيان الهندى) فيما بعد .. أنه قد انتقل إليه الجزء الإلهى بنوع من التناسخ .. فصار إماماً وخليفة ، وقال عن نفسه .. أنه المذكور فى القرآن ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ وقال : أنا البيان ، وأنا الهدى والموعظة .. فقتله خالد بن عبد الله القسرى .

ومن الفرق الغالية المعاصرة والتى تقول بالتناسخ .. طائفة القاديانية (الأحمدية) وطائفة البابية وطائفة البهائية .. أما الدروز فيسمونه بالتقمص ، وكذلك طائفة النصيرية .

ولذلك فإن الشهرستانى يجعل القول بالحلول والتناسخ (سمة مشتركة لفرق الغلاة جميعها) [2] .

ومقتضى مذهبهم (أى القائلون بالتناسخ) : (أن لا دار إلا الدنيا وأن القيامة إنما هى خروج الروح من بدن إلى بدن آخر .. إن خيراً فخير وإن شراً فشر .. وإنهم مسرورون فى هذه الأبدان

---

(١) ص ١١٥ فى (الألوهية فى المعتقدات الإسلامية) . الفرق بين الفرق ص ١٤٥ – ١٥١ .

(٢) الملل والنحل جـ ٢ ، ص ١٢ .

أو معذبون فيها ، والأبدان هى الجنات ، وهى النار وأنهم منقولون فى الأجسام الحسنة الإنسية المنعمة فى حياتهم ومعذبون فى الأجسام الردية المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان .. محولون من بدن إلى بدن .. معذبون فيها هكذا أبد الآبدين .. فهى جنتهم ونارهم ، فلا قيامة ولا بعث ولا جنة ولا نار » (١) .

وقد اختلف مؤرخو الفكر الفلسفى فى تحديد الدائرة الفكرية التى صدرت عنها عقيدة التناسخ أولا ... ولذلك فإن مؤرخى الفرق الإسلامية لم يحصروا الجهة التى استقت منها الغلاة فكرة التناسخ بجهة واحدة .. فالشهرستانى يقول : (كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل ملة من المجوس والمزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة » (٢) .

أما البغدادى فيذكر أن القائلين بالتناسخ أصناف ... صنف من الفلاسفة وصنف من السمنيَّة . وهذان الصنفان كانا قبل دولة الإسلام . .

وصنفان آخران ظهرا فى دولة الإسلام . أحدهما : من جملة الرافضة الغالية والآخر من جملة القدرية .

فأصحاب التناسخ من السمنية قالوا بتناسخ الأرواح فى الصور المختلفة وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كلب .. وروح الكلب

(١) فرق الشيعة ٣٢ .
(٢) الملل والنحل جـ ٢ ، ص ١٢ .

إلى إنسان . وذكر أصحاب المقالات عن سقراط وأفلاطون وأتباعهما من الفلاسفة أنهم قالوا بتناسخ الأرواح .

وقال بعض اليهود بالتناسخ .. وزعم أنه وجد فى سفر دانيال أن الله فسخ بختنصر فى سبع صور من صور البهائم والسباع (١) والتناسخ عند النصيريين أربعة أنواع :

(ا) نسخ : وهو انتقال الروح من جسم آدمى إلى جسم آدمى آخر .

(ب) مسخ : وهو انتقال الروح من جسم آدمى إلى جسد حيوان .

(ج) فسخ : وهو خروج الروح من جسم آدمى إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها .

(د) رسخ : انتقال الروح من جسم آدمى إلى الشجر والنبات والجماد(٢) . والمؤمن النصيرى لا يصيبه مسخ أو فسخ أو رسخ إنما تصيب وتقع على الكافر غير النصيرى .

فإذا كان غير النصيرى باراً بأهل البيت محسناً إليهم فإن روحه (تحل فى قالب) جسد (أسد أو نمر .. وما أشبه ذلك مما يناسب القوة والبطش . فيكون قوياً منيعاً فى أعين الناس ، وذلك مما تقدم منه من الإحسان ... وأما الكافر (غير النصيرى) المؤذى لأهل البيت وغيرهم .. فإنه يركب (أى تحل روحه) دباً أو خنزيراً

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٦٢ وما بعدها .

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٣٨ – ٤٤ .

أو قرداً ، وما أشبه ذلك فيكون خبيثاً ضعيف القدر عندنا وفى أعين الناس » (١) .

أما إذا ازداد طغيان الكافر .. فإنه يقع عليه الفسخ (فتحل أرواحهم فى أجساد الحشرات والهوام كالعقارب والحيات) (٢) أما المؤمن النصيرى ... « فقد أمنه الله ألا يركب فى صورة البهائم أو السباع ولا تحل روحه إلا فى الإنسان » (٣) .

أما إذا كان عاصياً .. فإن روحه تحل فى جسد إنسان يهودى أو نصرانى أو مسلم سنى . . مدة من الزمن حتى يتطهر ويتوب عما ارتكبه فى حق مذهبه ... إلى أن ترجع روحه (الخبيثة) مرة أخرى فتحل فى جسم مؤمن نصيرى .

والمؤمن غير العاصى (من النصيريين) فإذا مات « تحل روحه حتى تصعد إلى السماء على قدر إيمانه ، ثم تغمس فى عين على باب الجنة اسمها : عين الحياة .. فينسى عندما ينغمس كل ما قر عليه فى هذه الدنيا من الهم والغم . ويلبس بدنه النورانى ثم يقيم فى الجنة مع الملائكة والنبيين .. وفى نفس الوقت الذى تخرج روحه من بدنه .. تقع نطفة فى بطن أمه ، وفى تلك الساعة .. وفى ذلك الوقت بعينه تربى النطفة وهى فى البدن حتى تصير علقة ، فإذا صارت علقة أخذت الملائكة روح من أرواح الكافرين فتودع تلك العلقة ،

(١) الهفت الشريف ص ١٦٢ .
(٢) الهفت الشريف ص ١٩٠ .
(٣) الهفت الشريف ص ١٤٦ .

فتعذب روح الكافر فى الأرحام وفى الدم والحيض والعذر (البول والبراز) والظلام حتى يصير بدناً .. وروح المؤمن (النصيرى) فى الجنة تتنعم بينما تتعذب روح الكافر المستضعفة حتى تصير مضغة .. فإذا صارت مضغة ، أخذت روح من أرواح المنكوسين فى الكفر فتودع ذلك البدن فى الرحم .. فيجعل أسفلها أعلاها وتعلق الروح المستضعفة فى بدنه فتربى .. وروح الكافر تعذب وتعلق منكوسة فى الدم والحيض وغير ذلك مما يكون فى البطن حتى يبلغ البدن مدته ، فإذا بلغ مدته اجتمعت الملائكة إلى الروح التى فى الجنة .. فيؤخذ عليها الميثاق ويأخذ الامرأة الطلق لاحتباس الروح ، ثم تنزل الملائكة بالروح ومعها الإمام .. فإذا انتهى إلى موضع الامرأة .. زجرت الملائكة البدن زجراً فينقلب البدن من خوفه من زجر الملائكة .. فيصير أسفله أعلاه .. فلذلك يخرج الرأس قبل الرجلين .. فإذا خرج .. أولجت الملائكة روح هذا المؤمن (النصيرى) فيه ، وذلك عندما يسقط .

قال : وعلامة ولادة المؤمن أن البدن إذا سقط وأولج فيه الروح نظر المولود إلى السماء . لأنه ينظر إلى إمامه وإلى الملائكة .. فيتهلل وجهه ويبتسم ويضحك سروراً لإمامه وللملائكة ولا يعبس تلك الساعة ، فذلك علامة المؤمن . فإذا غاب عنه إمامه والملائكة بكى على مفارقتهم » (١) .

---

(١) الهفت الشريف ص ١٠٦ – ١٠٨ .

وغير النصيرى إذا ولد (نظر إلى أسفل خوفاً من الملائكة الذين قد أحضروه ، فيقطب وجهه ويعبس ويكلح ويقع عليه البكاء من ساعته ولا يزال غاضباً باكياً معبساً مكلحاً حتى تغيب عنه الملائكة ، فحينئذ يهدأ روعه ، ويسكن ، وترجع إليه نفسه ويزول بكاؤه) [1] .

أما علامة ميلاده ، فإنه إذا خرجت روحه من جسده عند موته وقعت فى تلك الساعة نطفة فى بطن أمه فتأتى الملائكة وقت خروج روحه من بدنه فيأخذونه حتى يأتوا به إلى الهواء الأول من الأرض الأولى التى فيها النار الأولى ، فيغمسونها فى عين من النار يقال لها (عين الرذائل) ، لأن الأرواح ترذل فى تلك العين ثم يغمسونها فيها غمسة ، فتجد فى تلك الغمسة من العذاب ما لو وضع على جبل تهامة لهدّه ، فينسى عند ذلك ما قد مر عليه من نعيم الدنيا ولذاتها ، ثم تنزل الروح فى تلك النار أربعين يوماً حتى تصير النطفة علقة ، ثم تخرجها الملائكة من ذلك العذاب فتسجنها فى الرحم ، ولا تزال تمص الدم والحيض وتأكل العذر (الأوساخ) حتى يأتيها الوقت المعلوم ، فتأتيها ملائكة العذاب فإذا نظرت الروح إلى الملائكة ضاقت بها ذرعاً ، فتظن أنها تخرج إلى العذاب وإلى العين التى كانت فيها ، فعند ذلك يقع فى الامرأة الطلق ويشتد عليها ، والملائكة حضور فى غير صورتها ، ويحضر الإمام عليه السلام ، فيزجرها زجرة نهائية فينقلب الرأس إلى أسفل فزعاً وخوفاً من صورة

---

(١) الهفت الشريف ص ١٠٩ .

الإمام ، فيخرج المولود باكياً مقطب الوجه ، وتخرج العذرة من حلقه وبصره ، وربما انكب على وجهه وجنبه فزعاً ، ويظل يبكى حتى يغيب عنه الإمام والملائكة » [1] .

ولا يؤمن النصيريون بالبعث ولا بالحساب أو العقاب كما أسلفنا . . فهم يعتقدون أن المؤمنين النصيريين عندما يموتون تنتقل أرواحهم إلى درجة أفضل من الدرجة التى كانت فيها ... إلى أن يبلغ درجة (الاصطفاء) وهى فوق درجة النبيين ، ثم يرتقى إلى درجة (الحجاب) فدرجة (الباب) فدرجة (الإيمان) .

والذى يبلغ هذه الدرجة يصبح فى حالة (لا يحجب الله فيها عنه شيئاً .. لا أرض ولا سماء ولا جبل ولا بر ولا بحر [2] . . يعرج إلى السماء متى أراد وينزل إلى الأرض فى أى وقت يشاء) [3] ثم يصبحوا ملائكة مقربين فى جوار الرحمن يحدثهم ويحدثونه ... إلى أن يعودوا فى النهاية إلى نور الله الذى خلقوا منه .

فالنصيرى لا يسلط الله عليه ذبح ولا قتل ولا ذل ولا تعب ولا نصب . . بل كل ذلك معروف عنه إلى الكافر الجاحد .. الذى يعذب الله روحه بأن يجعلها تحل فى كل شىء ، خالف صورة الإنسانية من بقر وغنم وإبل ودواب وطير وهوام وحشرات ..

---

(١) الهفت الشريف ص ١٠٩ .

(٢) هكذا وردت بالأصل ، والصواب : لا أرضاً ، ولا سماء ، ولا جبلا ، ولا براً ، ولا بحراً .

(٣) الهفت الشريف ص ٦٤ – ٦٥ – ٦٧ – ٩٠ – ١٦٢ .

وكل ذى روح دب ودرج وذبح وقتل . . وركب . .

ويستشهدون لذلك بقوله تعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ ...

ثم يقول الهفت الشريف : (إن عدونا يمسخ فى كل شىء خالف الصورة الإنسانية حتى إذا عاد أحدهم يقتل ألف قتلة ويذبح ألف ذبحة ، ويموت ألف ميتة . .) (١)

وهذا هو عذاب الكافر ... « وأما أولياء الله وأتباعهم المؤمنين خلصهم الله من المسوخية وجعل ذلك عقوبة لأعدائهم . . .) (٢)

« وروح الكافر لا تصعد إلى السماء كروح المؤمن .. بل تبقى فى الأرض تنتقل من قالب إلى قالب ومن بدن إلى بدن حتى يمر بكل الأنعام وبكل شىء يدب ويدرج .. وكلما ركب فى تركيب تعذب بنوع من العذاب أشد من سابقه ويظل هكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين » (٣) . وكل هذا العذاب التى تمر فيه روح غير النصيرى . يطلقون عليه اسم (العذاب الأدنى) ... أما العذاب الأكبر ... فسيكون عند قيام القائم ... (أى مهديهم) ... لا أقامه الله ... فينتقم من كل أعداء النصيريين بأن يضع فيهم السيف فيكون تمام عقوبتهم حر الحديد ... وعند ذاك لا يبقى على وجه الأرض إلا النصيريون ...

---

(١) الهفت الشريف ص ٩٠ .
(٢) الهفت الشريف ص ٩٠ .
(٣) الهفت الشريف ص ٦٠ — ١٦٢ .

يقول الهفت الشريف :

« يقتل القائم منه السلام كل طاغوت متكبر ويكون الدين كله لله .. حتى أن المؤمن يمر بالجبل ويكون الكافر (غير النصيرى) قد استتر . . فإذا مر به المؤمن ناداه الجبل يا مؤمن إن هذا الكافر قد استتر بى – فتعال اقتله ، ويمر المؤمن بالشجرة .. فتقول له كذلك .. لأن القائم منه السلام يبعث حين ظهوره بالسيف والكشف والإظهار .. والله تعالى عالم لطيف خبير يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .. والحمد لله مولانا وهادينا ودليلنا ...؟!»(1)

ولكل ما سبق ذكره .. فقد أنكر الفقهاء والمتكلمة فى الإسلام عقيدة التناسخ ، وكفروا القائلين بها إذ أنها تتضمن رد عقيدة إسلامية أولية هى عقيدة يوم القيامة والحساب والنشر فيه ثم الجزاء والعقاب .

(1) الهفت الشريف ص ١٥٣ – ١٥٤ .

موقف النصيرية

من صحابة رسول الله ﷺ

يبغض النصيريون كغيرهم من فرق الشيعة الغالية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ويعتقدون « أن كل من آمن منهم بعد الهجرة. لا يعتبر إيمانه كاملا لأنه من قبيل إيمان اليأس ... حتى ولو كان فيهم العباس عم الرسول » (١) . ويقولون بأن « العباس والباقون (٢) من قريش وخصوصاً الأمويون (٢) ، فإنهم لم يهاجروا ولم يؤمنوا حقاً ، والعباس أيضاً لم يؤمن إلا بعد أن أسره المسلمون ، وهو الذى أنقذ أبا سفيان من الأسر والوقوع فى أيدى المسلمين وظل صديقاً له حتى الموت » (٣) .

ويعتقدون « أن من المسلمين من ظل يعبد الأصنام سراً ويتظاهر بالإسلام خشية من سطوة على .. ومن هؤلاء أبو سفيان وابنه معاوية اللذان أسلما قبل فتح مكة بقليل » (٤) .

لذلك اعتبر النصيريون شتم صحابة رسول الله الغاصبين لحقوق أهل البيت فى نظرهم من الفرائض الدينية ... يقول صاحب كتاب تاريخ العلويين :

---

(١) تاريخ العلويين ص ٦٥ .

(٢) هكذا وردتا بالأصل ، والصواب : والباقين . . الأمويين .

(٣) تاريخ العلويين ص ٦٦ . (٤) تاريخ العلويين ص ٦٨ .

« وهكذا اتخذ العلويون المسبة لمن خالفوا أهل البيت فريضة إلى يوم الدين ، وهم يشملون بالمسبة كل من عادى الرسول ، وكل من عادى فاطمة ولو كان صاحب على .. وكل من عادى الحسنين ولو صاحب آباءهم ، وكل من عادى بقية الأئمة الإثنى عشر .. وسبب ذلك فى اعتقاد العلويين أن الأئمة الإثنى عشر وآباءهم معصومون ، فالمخالفة لأحدهم تكون مخالفة للعصمة .

ويقولون بأن من أسلم من قريش بعد التحاق على بالنبى لم يكن كامل الإيمان ولو كان ممن لم يعادوا أهل البيت » [1] . ومع كره النصيريين للصحابة ... إلا أنهم يخصون نفراً منهم ببغضهم الشديد .. أمثال سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر وسيدنا معاوية رضى الله عنهم وأرضاهم ...

ومع أن النصيريين يتسمون بالأسماء الإسلامية والأسماء المسيحية كما يقول (فيليب حتى) فى كتابه تاريخ العرب .. [2] إلا أنهم لا يتسمون مطلقاً بهذه الأسماء الثلاثة السالفة الذكر ... وما ذلك إلا لحقدهم الأعمى على من أطفأ نيران المجوس ودك وثنية النصارى واليهود تحت سنابك خيل المجاهدين المسلمين ودور هؤلاء الثلاثة فى تثبيت دعائم وأركان الدولة الإسلامية وزلزلة وطمس معالم الوثنية الفارسية والروسية واليهودية واضح لكل ذى عينين . . . وأسهبت كتب السيرة فى توضيحه . بل بلغ بهم الحقد « إلى أن يأخذ

---

(١) تاريخ العلوين ص ١١٦ .

(٢) تاريخ العرب المطول ، جـ ٢ ، ص ٥٣٩ .

أحدهم البغل أو الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه على أن روح (أبى بكر وعمر) — رضى الله عنهما — تحل فيه ... فاعجبوا لهذا الحمق الذى لا نظير له ... وما الذى خص هذا البغل الشقى أو الحمار المسكين بنقله الروح إليه دون سائر البغال والحمير ؟! وكذلك يفعلون بالعنز (الماعز) على أن روح أم المؤمنين (عائشة) رضى الله عنها — فيها » [1] . . « وهم متأثرون فى الأخذ بهذا الأصل بالديانة البرهمية . . وكانت أصولها شائعة معروفة لدى الفرس » [2] .

أما بغض هذه الفرقة وغيرها من الفرق الغالية لسيدنا أبى بكر فناتج عن حقدهم على من قضى على المرتدين الذين كادوا أن يزلزلوا كيان الدولة الإسلامية الفتية .. ولأن أبا بكر هو الذى بدأ بتحطيم الامبراطوريتين العظيمتين فى ذلك الوقت .. الامبراطورية الفارسية والرومانية .

أما سيدنا عمر فقد أكمل ما بدأه أبو بكر ... وارجع مرة أخرى إلى الصفحات الأولى من هذا البحث .. (إلى التمهيد) لترى سبب حقد هؤلاء وأمثالهم على عمر رضى الله عنه .

ومن المعلوم أن سيدنا عمر تزوج السيدة أم كلثوم ابنة سيدنا على كرم الله وجهه .. مما يدل على عمق الصلة والمودة التى كانت بين هؤلاء الرجال الذين تربوا فى مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم ..

---

(١) الفصل ج ٤ ، ص ١٨٢ .

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٨ — ٤٤ .

ولكن النصيريين — أخزاهم الله — يرون غير ذلك .. وسننقل لك — أخى القارئ — الباب الثالث والعشرين من كتاب الهفت الشريف تحت عنوان — فى معرفة تزويج أم كلثوم فى الباطن — وهو يبين حقدهم الدفين على من أطفأ نيرانهم كما أسلفنا ... يقول الهفت الشريف : « قال المفضل : قلت : سيدى .. أريد أن أسألك فى شيء يتحدثون عنه (١) أهل الكوفة ، وإنى يا مولاى أستحى أن أسألك عنه . قال : يا مفضل : قد علمت ما قد هممت به ! وتريد أن تسألنى عن تزويج أم كلثوم ... قلت : نعم يا مولاى . فقال : اسمع يا مفضل . . ما أقول وافهم . . إن أصل ذلك كان فى الأظلة والأشباح على حسب ما أنا مفسره لك ..

فقد كان هابيل يومئذ أمير المؤمنين ؟ وكان قابيل .. زافير وهو إبليس الأبالسة ؟ فأتى قابيل إلى هابيل فقال له : زوجنى ابنتك .. فامتنع عن تزويجه إياها .. فقال عندئذ قابيل : والله لأقتلنك إن لم تزوجنى بها .. فلما هم بقتله زوَّجه — جريرة — بنت إبليس فظن قابيل أنها ابنة هابيل .. والله أجل وأعظم من أن يفعل بأوليائه ذلك .. فلما كان فى تكرير السادس (حسب عقيدة النصيريين فى التناسخ) وولى زاخر (أى عمر) .. أرسل إلى أمير المؤمنين (على) يقول : زوجنى ابنتك .. فأرسل إليه أمير المؤمنين على .. سلمان (الفارسى) وقال له : قل له يا سلمان إنك عدت إلى ضلالك القديم ، فأتى سلمان إلى زافر وأخبره بذلك .. فلما علم أن سلمان قد اطلع على أمره اغتاظ

(١) هكذا وردت بالأصل ، والصواب : يتحدث عنه أهل الكوفة .

وقال له : نعم قد عدت إلى ما ذكرت ! فإما أن يزوجنى وإما أن أغور ماء بئر زمزم .. وأرفع عن البيت الحرام رسم المقام ، أو أقتله .. فانصرف سلمان إلى أمير المؤمنين وأخبره .. فقال على : احمل إليه هذا الكتاب .. فحمل سلمان إليه الكتاب ، فلما نظره (حبتر وأدلم) [1] .. أى علم أنه أقبل فى سبب .. فقال : ما وراءك ؟ فقال سلمان : — أخبرنى أمير المؤمنين أن أعرض عليك هذا الكتاب . قال زافر : وما هو ؟ فأخرج الكتاب وسلمه إياه ، فلما فتحه وجد فيه صورة هابيل ونظر إلى نفسه يعنى هو قابيل !؟ فقال مخاطباً سلمان : إنما خطبت إليه ابنته لأنه يزعم أننى من نسل الشيطان !؟ ولكن لابد له أن يزوجنى ابنته حتى يظهر كذبه عند الخلق .. ولا ينجيه إلا التزويج أو القتل . فقال سلمان : سأخبره بذلك .. وأقبل على أمير المؤمنين وأخبره بكل ما جرى ..

قال على : قد علمت بكل ما قال ؟! وأنا الآن أزوجه ابنته جريرة .. كما زوجته قديماً واشتبه عليه ..

ثم إن سلمان انصرف إليه وأخبره بأن أمير المؤمنين قد أجابك إلى كل ما تريد ، فجمع أصحابه وعاهدهم على ذلك ، ثم أمر أمير المؤمنين سلمان أن يحمل إليه ابنته جريرة .. !! فأتى بها سلمان إليه فأعمى الله بصره ! وجعل عليه غشاوة فلم يفهم ، وتداخله السرور والفرح لذلك . . ثم قال لسلمان : إنى سأشكرك فى قيامك فى

---

(١) حبتر : لقب يطلقه النصيريون على سيدنا أبى بكر . وأدلم : يطلقونه على سيدنا عمر . انظر الهفت الشريف ص ١٢٧ .

هـذا الأمر . . ولا أقـدر على مكافأتك . . .

قال : ثم دخل فيها فوجدها على صورة أم كلثوم ؟! فلما أصبح أرسل إلى أصحابه وشياطينه ليحتج بذلك عندهم ، فلما اجتمعوا إليه هنأوه بتزويجه . فقال زافر : كفانا أمر على وأصحابه ؟! فإنهم لو كانوا بنى أبى كبشة على حق ونحن على باطل .. ما زوجونا كريمتهم .. قالوا : صدقت . قال : والله إنهم سحرة كهنة كذابون وهذه حيلة بينهم . قال سلمان : وبينما هم كذلك دخلت عليهم فقالوا بأجمعهم نحن على باطل وصاحبك على حق ونحن عنده شياطين خونة .. فلم زوجنا ابنته أم كلثوم ؟

فقال لهم سلمان هذه الآية : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ فلما سمعوا ذلك من سلمان غضبوا عليه ، وغضب الثانى غضباً شديداً .. وهموا بى فقلت لهم : أتقتلونى فى مجالسكم هذا .

ثم قال سلمان : لما هموا بى قال بعضهم لبعض فما نصنع بهذا العجمى وقد نلت حاجتك ، فافترقوا ، وبلغ ما تحدثوا به أمير المؤمنين على [1] عليه السلام . . فأمر سلمان أن يسير إليهم ويحدثهم بالحقيقة . وما لبس عليه من أمر ابنته ، حتى يكف عن فجوره وتبجحه – (أخزاهم الله) – فيصغر فى نفسه ويقل قدره ، ويموت من العار والحزن !

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، والصواب : علياً .

قال سلمان : فأتيت فى منزله ولم يكن أحد عنده فقلت له : كيف وجدت زوجتك ؟ فقال : إنها موافقة لى تتجنب مخالفتى فى السر والعلانية ، وهى كأنها منا وفينا ! فقال سلمان : نعم إنها منك وإليك وهى ابنتك جريرة فادخل عليها لعلك تعرفها الآن ... فلما سمع هذا لم يتمالك عقله ، فدخل عليها ونظر فيها ، فإذا هى ابنته جريرة .. لم ينكر منها شيئاً .. فصاح صيحة رجت لها الدار .. واغتاظ غيظاً شديداً .. وقال : قد فعلها الساحر ابن أبى طالب .. ليست هذه بأول أفعاله .. والله لأفعلن وأفعلن .. فقال له سلمان : لا تكشف عورتك وتبدى سيرتك ، وتنفضح فى عشيرتك ، ومن رأيى ومشورتى لك أن تكتم ذلك .. فإن كتمت قال الناس : زوجه ابنته ، وإن أبديت انكشف للناس أمرك .. فقال : كفانى يا سلمان أنى مت غيظاً .. وسأقبل منك ما تقول .. وليقل هذا الساحر ما يقول .. فلا طاقة لى ولأصحابى بسحره .. وكتم عن أصحابه قصته خوفاً من العار .. ومات حنقاً وغيظاً لا رحمه الله ولا رضى عنه رب العالمين .. تم » (١) .

لعنهم الله وأخزاهم ما هبت النسائم وما ناحت على الأيلك الحمائم . ولعل هذا الفصل الذى نقلناه من كتابهم السخيف (الهفت الشريف) والمكتوب بلغة عامية سوقية مبتذلة أقرب ما تكون فى أسلوبها من أسلوب الأناجيل المزورة والتوراة المحرفة ... ولست أستبعد مطلقاً

---

(١) الهفت الشريف ص ٨٤ — ٨٨ .

أن يكون لليهود يد فى إملاء الهفت الشريف وكتابته .. خاصة إذا عرفنا أن معظم النصيريين الأوائل كانوا من اليهود .. فقد ذكر (تاريخ العلويين) ذلك .. وقال بالحرف الواحد :

« ترك إبراهيم بن أدهم — (وهو من رجال الصوفية وله منزلة رفيعة ومقدسة بين النصيريين) — مقر الإمارة لأبيه ليلا وسار فوصل إلى حلب وأنطاكية ، ومكث مدة طويلة فى طرسوس التى كان معظم أهلها علويين ويهود .. وقد أسلم على يده العدد الأغلب من اليهود . ؟! » (١) .

أما حقد النصيريين وغيرهم من الفرق الغالية على سيدنا معاوية وعلى الأمويين عموماً لم يكن إلا لأن دولتهم كانت عربية بحتة .. لا وجود سياسى فيها — إن صح هذا التعبير — للموالى أو الأعاجم .. بخلاف الدولة العباسية وغيرها .. من هنا يأتى تحامل المتحاملين على بنى أمية .. فى القديم .. أما فى العصر الحديث فقد كان الماسونى النصرانى — جورجى زيدان — (٢) من أشد الناس تحاملا على الأمويين . فى كتابه — تاريخ التمدن الإسلامى — ومعظم الكتاب الذين تكلموا عن مثالب بنى أمية نقلوا عنه ..

ولكن أما كان لأحد من بنى أمية مأثرة تذكر ، ومنقبة تنقل ، وسياسة تنفع البلاد ..

---

(١) تاريخ العلويين ص ٢٣٤ . وبالطبع يقصد بكلمة أسلم : أنهم أصبحوا نصيريين .

(٢) انظر كتابه : تاريخ الماسونية العام .

نعم : إن بنى أمية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين .. وليس هذا عاراً عليهم ، ولا فيه حط من منزلتهم ، فإن إدراك شأو الراشدين واللحوق بهم أمر خارج عن طوق كثير من البشر وليس فيه مطمع لأحد . ولا موضع رجاء لمجتهد .. وإنما هم ملوك .. فيهم المحسن والمسىء ، والعادل والجائر والناسك والخليع ، والحازم والغفل ، بل إن أعدلهم سيرة وأمثلهم طريقة ، وأوفاهم ذمماً .. لا يخلو من عثرات لا تقال ، وهنات لا تذكر .. فمن العدل والإنصاف أن نذكر المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته .. لا أن نزنهم بميزان واحد ... ونعمم الحكم عليهم ... ولست أريد فى هذه العجالة أن أبين سيرة كل خليفة من خلفاء بنى أمية .. فذلك شرحه يطول .. وقد ذكر المؤرخ المسعودى فى كتابه (مروج الذهب) وابن الأثير فى كتابه (الكامل) والطبرى فى (تاريخه) ما فيه الكفاية للمستزيد . ولكنى أرى أن حقد هؤلاء الشعوبيين على بنى أمية لم يكن إلا لأن بنى أمية كان لهم الفضل فى توسيع رقعة الدولة الإسلامية وتثبيت أركانها ودعائمها فلم يبق لأعدائها مطمع فيها أبداً .. ونظرة واحدة إلى كتب التاريخ المعتمدة نرى أن بنى أمية لما تسنموا عرش الخلافة ازداد الإسلام فتوحاً ، واتسعت ممالكه ، وغاب سلطانه ، وامتدت سطوته ، ودخلت البلاد النائية المترامية الأكناف فى حوزة حكمه .. فملكوا مالم يملكه أحد من ملوك الإسلام قبلهم ولا بعدهم ؟! فتحوا طرابلس وطنجة وسائر بلاد المغرب والأندلس ، وبلاد الديلم والأتراك والمغول والسند وقبرص وكريت وصقلية ورودس

وغيرها من جزائر البحر المتوسط . وتوغلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا سور القسطنطينية ، وضربوا السيف على أبوابها وافتتح السند — محمد بن القاسم الثقفى — أحد أبناء قوادهم وهو ابن سبع عشرة سنة .. وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين ، وعاصمة بلاد الروم ، وحدود بلاد الهند ، وملكوا من السند إلى ثغور بلاد الإفرنج طولا ومن البحر الأحمر إلى بلاد الخزر عرضاً ، ودخل فى حوزة ملكهم بلاد العرب وديار الشام والعراق ، ومصر ، وليبيا وتونس والجزائر ومراكش والأندلس وأرمينية وخراسان وفارس ، والديلم ، وبلاد الران وطبرستان ، وجرجان وسجستان ، وخوارزم ، وما وراء النهر ، وبلاد الخزر وأفغانستان والسند وبعض بلاد الهند . . فمن يدانيهم من الملوك فى سعة الملك ؟ ومن يباريهم فى كثرة الفتوح ؟

وبنو أمية هم أول من اتخذ دار الضرب (سك النقود) فى الإسلام فكسوا به الإسلام رفعة وأغنوه عن نقود الروم والفرس بينما نجد معظم الدول العربية والإسلامية فى عصرنا الحاضر ما زال اقتصاؤها ، ومازالت نقودها مربوطة بعجلة الدولار أو الاسترلينى !

وبنو أمية هم الذين نقلوا الدفاتر والدواوين عن الفارسية والرومية والقبطية إلى العربية .. فزادت العربية انتشاراً ونفوذاً ، ولم يمض برهة من الدهر حتى أصبحت هذه البلاد عربية النزعة واللسان .

وهم أول من بنى مستشفى فى الإسلام .. بنوه فى دمشق سنة ثمان وثمانين للهجرة . جعلوا فيه الأطباء ، وأمروا بحبس المجذومين وأجروا لهم الأرزاق . وهم أول من أنشأ داراً للعميان ، وهم أول من عمل داراً للضيافة بعد سيدنا عمر بن الخطاب ، وهم أول من رثى للأيتام وتحنن عليهم ورتب لهم ولغيرهم من – الطبقة الكادحة – المؤدبين ليعلموهم ... وغير ذلك الكثير .... مما زخرت به كتب التاريخ (١) .

(١) بتصرف من رسالة للمؤرخ الهندى الأستاذ شبلى النعمانى فى الرد على جورجى زيدان ، ص ٣٦ – ٥٠ . ولمن أراد الاستزادة فعليه أن يرجع إلى مروج الذهب ، وفتوح البلدان للبلاذرى . وتاريخ الخلفاء للسيوطى ، وتاريخ ابن الأثير أحداث سنة ٨٨ ، وغيرها .

غدر النصيرية بالمسلمين
فى القديم والحديث

لم يترك النصيريون فرصة فى القديم والحديث إلا اهتبلوها فى سبيل إيقاع أكبر الأذى بالمسلمين .. وهم عندما يقومون بذلك يعتقدون أنهم يثابون على أفعالهم تلك التى يندى لها جبين الإنسانية خجلا . . وما أحداث لبنان وتل الزعتر ووقوفهم إلى جانب المارونيين عنا ببعيد ... وقد أبان الأستاذ سامى الجندى سفير سوريا فى فرنسا إبان الحرب العربية اليهودية عام ١٩٦٧ .. شيئاً من خيانة النصيريين الحاكمين فى سوريا فى كتابه (أتحدى وأتهم) وإن كانت رائحة الخيانة قد أزكمت الأنوف . .

أما فى القديم . . فخياناتهم للمسلمين الذين يعيشون فى ديارهم أكثر من أن تحصى .. وسنكتفى بإيراد مثل أو مثاين على ذلك .. ويبرر النصيرى (محمد أمين غالب الطويل) فى كتابه تاريخ العلويين هذه الخيانة بقوله :

« ولما كان لابد للضعيف المظلوم من التوسل بالخيانة لكى يحافظ على حقوقه أو يستردها – وهذا أمر طبيعى يساق إليه كل إنسان – ؟! كان العلويون كلما غصب السنيون أموالهم وحقوقهم

يتوسلون بغدر السنيين عند سنوح الفرصة ! ؟ . . . » [1] .

وقد سنحت لهم الفرصة عندما اجتاح التتار بغداد – حاضرة العالم الإسلامى – آنذاك – يقول صاحب كتاب تاريخ العلويين :
« جاء تيمورلنك بجيوش لا يعرف مقدارها واستولى على بغداد وحلب والشام فى سنة ٨٢٢ – ٨٢٣ هـ ويدعى أن تيمورلنك كان نصيرياً محضاً من جهة العقيدة ، إذ توجد له أشعار دينية موافقة لآداب الطريقة الجنبلانية (النصيرية) ، وأسباب دخوله فى الطريقة هو ذهاب النصيرى (السيد بركة) من خراسان إلى الأمير (تيمور) وهو فى بلدة – بلخ – [2] . . ثم يقول : « وداوم تيمورلنك فى الاستيلاء على البلاد وشيخه – السيد بركة – يبشره بدوام فتوحاته حتى جاء لبغـــداد وأخذها من يد السلطان أحمـد . . ثم أراق الخمور ومنع الملاهى والمقاهى منها ، وأخذ من كان من أرباب الصنائع فى بغداد لسمرقند .. واستولى على الموصل عام ٨٩٦ .. وبنى بها مراقد الأنبياء جرجيس ويونس عليهما السلام .. وجاء للرها واغتسل بمحل النبى إبراهيم .. ثم جاء (لماردين) وأعطاها الأمان . . ثم استولى على (ديار بكر) وعنتاب التى التجأ أميرها إلى حلب .. وعندما أرسل الخليفة تحاريره لجميع الملوك والأمراء المسلمين بأن يمدوا حلب بما يستطيعون من قوة .. جاءت الإمدادات من كل جانب من العالم الإسلامى » .

---

(١) انظر تاريخ العلويين ص ٤٠٧ .

(٢) انظر ص ٣٣٤ – ٣٣٩ فى كتاب (تاريخ العلويين) .

ثم يقول : « وكان نائب حلب هو الأمير (النصيرى) العلوى (تمور طاش) الذى اتصل بتيمورلنك خفية واتفق معه على أن يدهم تيمورلنك حلب .. فهاجمها بالفعل ودخلها عنوة .. فأمعن فى القتل والنهب والتعذيب مدة طويلة حتى أنشأ من رؤوس البشر تلة عظيمة ، وقد قتل جميع القواد المدافعين عن المدنية . . وانحصرت المصائب بالسنيين فقط ؟ ! » ثم يقول : « ثم سافر تيمور إلى الشام .. وقبل سفره جاءت إليه العلوية (النصيرية) — درة الصدف — بنت سعد الأنصار — ومعها أربعون بنتاً بكراً من العلويين وهن ينحن ويبكين ويطابن الانتقام لأهل البيت وبناتهم اللاتى جىء بهن سبايا للشام .. — (وسعد الأنصار هذا من رجال الملك الظاهر .. وهو مدفون بحلب وله قبر فوقه قبة) — فوعدها تيمور بأخذ الثأر ومشت البنات العلويات مع تيمور وهن ينحن ويبكين وينشدن الأناشيد المتضمنة للتحريض على الأخذ بالثأر .. فكان ذلك سبباً فى نزول أفدح المصائب التى لم يسمع بمثلها ... بأهل الشام) . ثم يقول : (ولم ينج من بطش تيمورلنك بالشام إلا عائلة واحدة من المسيحيين . . وأمر تيمور بقتل أهل السنة .. !؟ واستثناء العلويين (النصيريين) .. وبعد الشام ذهب تيمور لبغداد وقتل بها تسعين ألفاً ..) (١) .

---

(١) كتاب تاريخ العلويين ص ٣٣٤ — ٣٣٩ . وانظر الحركات الباطنية فى الإسلام ص ٩٧ — ٩٨ ، والخطوط العريضة ص ٢٨ — ٢٩ ، وغارة التتار على العـــالم الإسلامى ص ٢٤ .

هذا فى عهد الغزو التترى . . أما فى عهد الهجمة الصليبية . . فلم يدخل الصليبيون بلاد المسلمين إلا عن طريقهم ومن مناطق سكناهم فى طرسوس وأنطاكية وغيرها من مناطق نفوذهم .. بل إن مدينة أنطاكية سقطت فى يد الصليبيين بفعل الاتفاق الذى وقع بين الزعيم النصيرى (فيروز) وبين قائد الصليبيين (بوهموند)(١)

هذه أمثلة لمخازى النصيريين وخياناتهم للمسلمين والتى حدثت فى الأزمنة الماضية ...

أما فى هذا الزمن الردىء .. فالأدلة على تعاونهم مع أعداء المسلمين أكثر من أن تحصى .. ولنا فيما جرى ويجرى على الساحة اللبنانية — كما أسلفنا — وفى أحداث الحرب العربية اليهودية عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ ، بل وفى التعاون النصيرى ممثلا فى (زكى الأرسوزى) والنصرانى ممثلا فى (ميشيل عفلق) و فساد (صلاح الدين البيطار) على تكوين حزب البعث الذى لعب دوراً كبيراً فى إفساد عقائد شباب الأمة العربية المسلمة — ولا يزال — والتنكيل بالمسلمين فى سوريا وغيرها لخير دليل .

---

(١) انظر تاريخ العلويين ص ٢٩٣ .

القبائل النصيرية ومواطنها

يتكون النصيريون من عدة عشائر وأفخاذ ذات أصول عربية آرامية . ولا تزال اللغة الآرامية بادية آثارها فى لهجاتهم وفى أسماء الأشخاص والقرى والجبال [1] ومن هذه القبائل والعشائر التى تدين بالمذهب النصيرى :

١ ـ الكلبية : وهى من أكبر العشائر النصيرية .

٢ ـ النواصرة . ٣ ـ الجهنية وينتمون لأميرهم جهينة البغدادى . ٤ ـ القراحلة . ٥ ـ الجلقية : جاءوا من دمشق فنسبوا إليها . ٦ ـ الرشاونة .. نشأوا فى قرية الرشية الواقعة فى جبل الشعرا غربى (تل سلحب) . ٧ ـ الشلاهمة ـ ٨ ـ الرسالنة . ٩ ـ الجُرْدية . ١٠ ـ الخياطية : نسبة للشيخ على الخياط الذى تسبب فى مجىء عشائر السنجارية النصيرية إلى الجبل وبينهم البرامكة والقبرصية ١١ ـ البساترة ١٢ ـ العبدية ١٣ ـ البراعنة ١٤ ـ الفقاورة ١٥ ـ العمامرة ١٦ ـ الحدادية ١٧ بنو على ١٨ ، البشالوة . ١٩ ـ الياشوطية . ٢٠ ـ العتارية ٢١ ـ المتاورة ٢٢ ـ الحلبية : وهم النصيريون الذين وفدوا من حلب فى عهد السلطان سليم التركى ويدعون بالسوراك ٢٣ ـ الخزرجية ٢٤ ـ السوارخة ٢٥ ـ النميلاتية

---

(١) تاريخ الإسلام السياسى ج ٤ ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ .

٢٦ — السرابنة ٢٧ — الصوارمة ٢٨ — المهالبة نسبة للمهلب بن أبى صفرة ٢٩ — الدراوسة .. ٣٠ — المحارزة ٣١ — البشارغة ٣٢ — الجراهرة ٣٣ — السواحلة : وهم النصيريون الذين استوطنوا ما بين صهيون واللاذقية وجبل الأقرع . ٣٤ — الأنطاكيون : وهم من نواحى السويدية ، وقرة موط ، والحربية ، وقصير ، وبيلان ، واسكندرون ٣٥ — الأطنيون : وهم النصيريون الذين قطنوا أضنه ، وترسوس ، ومرسين .

والنسبة فى هذه الأسماء إما إلى أشخاص فهم معروفين عندهم أو إلى قرى ومدن معروفة فى أرضهم وغيرها .

وهم يتمركزون الآن فى الجبال المعروفة باسمهم وفى مدينة اللاذقية والقرداحة ومدينة حمص وحلب وقليل منهم فى دمشق وطرابلس وحماه وفى قرى (عين فيت) — وزعورا — وغجر فى شمال فلسطين المحتلة .. وغيرها من القرى والمدن التى مر ذكرها فى ثنايا هذا البحث . . . ولكنهم فى الفترة الأخيرة بعد أن استولى النصيريون على نظام الحكم فى سوريا — حاضرة الأمويين — قطنوا معظم المدن السورية الرئيسية (١) .

---

(١) الهفت الشريف ص ١٥ — ١٧ . وانظر خطط الشام ج ٦ ص ٢٦٥ — ٢٦٨ .

من زعماء النصيرية

للنصيريين زعماء سياسيون ودينيون ... أما السياسيون فهم يتربعون الآن على أسرة الحكم فى سوريا العربية المسلمة حتى أنك لا تجد مصلحة حكومية إلا وعلى رأسها أحد النصيريين . أما زعماؤهم الدينيون فهاكم أسماء عدد منهم فى سوريا ولبنان . . . وهم :

١ — الأستاذ إبراهيم جمال — اللاذقية .
٢ — « إبراهيم سعود — جبلة
٣ — « إبراهيم صالح معروف — حمص .
٤ — « إبراهيم حرفوش — مقيم باللاذقية .
٥ — « إبراهيم حسن النجار — « «
٦ — « أحمد عيد الخير — القرداحة — مقيم باللاذقية
٧ — « صالح على صالح — مقيم فى دمشق .
٨ — الدكتور على سليمان الأحمد — اللاذقية .
٩ — الأستاذ محمد بدر — الشامية — اللاذقية .
١٠ — « محمد على أحمد — قرداحة .
١١ — « مصطفى السيد — عمرة — صافيتا — مجاز من جامعة الأزهر .
١٢ — الشيخ إبراهيم الكامل — طرابلس — لبنان .
١٣ — « أحمد على حلوم — الشبطلية — اللاذقية .

١٤ — الشيخ أحمد محمد رمضان — صافيتا .
١٥ — « إسماعيل شحود — اللاذقية .
١٦ — « حسين سعود — جبلة .
١٧ — « حسن عباس آل عباس بيصين — المشرفة — مصياف .
١٨ — « حبيب صالح معروف — حمص .
١٩ — « حامد عامودى الطرابلسى — حمص .
٢٠ — « حمدان الخير — القرداحة .
٢١ — « حسن محمد على — الدالة — جبلة .
٢٢ — « حيدر محمد حيدر .
٢٣ — « سلمان خليل الوقاف .
٢٤ — « رجب سعيد خليل — مفتى منطقة بانياس .
٢٥ — « سلمان أحمد سلمان — حمين — صافيتا .
٢٦ — « سليمان حسن — اللاذقية .
٢٧ — « سليمان أحمد خضر — جبلة .
٢٨ — « سليمان عيسى مصطفى — حريصون .
٢٩ — « عبد الرحمن الخير — القرداحة — مقيم فى دمشق .
٣٠ — « عبد اللطيف إبراهيم مرهج — الدبدابة — صافيتا .
٣١ — « عبد الكريم على حسن — طرطوس .
٣٢ — « عبد اللطيف الخير — القرداحة .
٣٣ — « عبد الكريم الخطيب .
٣٤ — « عباس ميهوب حرفوش — المقرمدة — بانياس .

٣٥ ــ الشيخ عبد اللطيف شعبان كفرفو ــ صافيتا .
٣٦ ــ « عبد الله عابدين ــ مفتى منطقة الحفة .
٣٧ ــ « عبد الهادى حيدر ــ أبو قبيس ــ مصياف .
٣٨ ــ « على عبد الله ــ صافيتا .
٣٩ ــ « على عبد الرحمن كنكارو ــ صافيتا .
٤٠ ــ « على أحمد محمد كتوب .
٤١ ــ « على حسن على ــ برمانة ــ طرطوس .
٤٢ ــ « على محمود منصور ــ طرابلس ــ لبنان .
٤٣ ــ « على معروف إبراهيم ــ الرستين ــ اللاذقية .
٤٤ ــ « على عيسى حسن ــ جبلة .
٤٥ ــ « على عزيز إبراهيم ــ طرابلس ــ لبنان .
٤٦ ــ « غانم ياسين ــ اللاذقية .

وكان لهذا الشيخ أخ يدعى (يوسف ياسين) .. جاء لفلسطين من اللاذقية فى أيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧ للالتحاق كتلميذ بالكلية الصلاحية الإسلامية بالقدس ، فلما علم مديرها الشيخ عبد العزيز جاويش ــ رحمه الله ــ أنه من اللاذقية .. رفض أن يقبله .. لأنه كان يكره النصيريين .

ولما احتل الإنكليز فلسطين عام ١٩١٨ تطوع ــ يوسف ياسين ــ بالفرقة التى شكلها الإنكليز للعمل مع ــ لورنس ــ والملك عبد الله بالحجاز .. لمحاربة الأتراك باسم الجيش العربى .. فكان

(يوسف ياسين) يخطب فى الأندية وفى الشباب بالقدس داعياً إلى الجهاد .. ضد الأتراك .

وقد نشرت جريدة الكوكب الصادرة فى ١٩١٨/٩/٣ بالقاهرة لمراسلها بالقدس وصفاً لحفلة أقيمت فى النادى العربى لحث الشباب على التطوع فى ذلك الجيش فقال المراسل : ثم وقف الشاب يوسف ياسين وتكلم بصفته جندياً فى الجيش العربى ثم أنشد قائلا :
سنأخذ هذا الحق بالسيف والقنا شِيب وشُبان على ضُمَّر بُلق

وقد أخذ الإنكليز فلسطين فعلا . . ولكن بالخديعة لا بالسيف ولا بالقنا ولا بالضمر البلق . ثم أعطوها لليهود وأقاموا لهم فيها دولة . . ولما فرغ الإنكليز من اغتيال فلسطين بعد الضحك على العرب وعلى خطبهم وأشعارهم فضوا ذلك الجيش . . العربى . .

فنزح (يوسف ياسين) إلى الحجاز يقصد الملك حسين بن على فمكث عنده فترة قصيرة ثم صرفه . فذهب إلى الملك عبد الله فى عمان . . وبقى عنده مدة ثم استغنى عنه . وبعد ذلك رجع للقدس فاستخدمه الفلسطينيون معلماً فى مدرسة (روضة المعارف الوطنية) . والمهم من هذا كله أن أثبت أن أهل فلسطين لم يقصروا مع (يوسف ياسين) يوم فضلوه على شبانهم واعتبروه واحداً منهم . .

وبدلا من أن يقابل الإحسان بمثله .. عندما أصبح موظفاً كبيراً فى السعودية وصاحب سلطان على جريدة (أم القرى) أخذ يهمل الفلسطينيين ويمنع تلك الجريدة من نشر أخبارهم ، ولما صار

مندوباً للسعودية فى الجامعة العربية [1] كان لا هم له إلا العمل على كبح جماح المتحمسين لفلسطين . وقد أذاع النائب العراقى – عز الدين النقيب – نص خطاب (يوسف ياسين) المندوب السعودى فى اللجنة السياسية للجامعة العربية نشرته الصحف العراقية وجريدة العرب الصادرة فى باريس بتاريخ ١٩٤٩/٦/١٤ وجاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أيها الناس تريثوا فى مقرراتكم فلا تستعجلوا . فإن اليهود أغنياء وأقوياء فى كل شىء بالمال .. والعلوم .. والفن .. والذكاء .. والقوة القاهرة .. بينما نحن عزل من السلاح ، وفقراء لا نملك من أسباب القوة لا قليلا .. ولا كثيراً لنتمكن من محاربتهم » فكان خطابه هذا مثبطاً وموهناً للعزائم [2] . .

وقد توفى منذ مدة . . من ملك الموت إلى مالك .. ولحقه ابنه الذى كان سفيراً للسعودية فى تركيا قبل حوالى سنتين من الزمان .

٤٧ – الشيخ فضل فضة – مكا – اللاذقية .
٤٨ – « فضل غزال – الحفة – حجاز من النجف الأشرف
٤٩ – « كامل حاتم – اللاذقية .
٥٠ – « كامل الخطيب – جبلة .
٥١ – « كامل صالح معروف – صافيتا .

---

(١) ثم أصبح فيما بعد مستشاراً (لابن سعود) فى الشئون الخارجية . انظر (الصراع على سورية) ص ٤٦ .

(٢) انظر مذكرات محمد على الطاهر ص ٥٣٩ – ٥٤٢ . وقد أحببت ذكر هذه الفقرة لتعرف غدر النصيريين وخيانتهم فى القديم والحديث .

٥٢ — الشيخ محمود صالح عمران — حمص .
٥٣ — « محمد حامد — طرطوس .
٥٤ — « محمود صالح يوسف — بانياس .
٥٥ — « محمد حمدان الخير — القرداحة .
٥٦ — « محمود سليمان الخطيب — مقيم باللاذقية .
٥٧ — « محمد محرز — الشبطلية — اللاذقية .
٥٨ — « محمد يوسف حمدان عمران — مقيم فى حمص .
٥٩ — « محمود موهج — بحنين — طرطوس — حجاز من النجف ، وكلية الشريعة فى دمشق .
٦٠ — « محمد على رمضان .
٦١ — « محمود أحمد عمران — مقيم بطرطوس .
٦٢ — « محمود محمد سلمان — جبلة .
٦٣ — « محمود على الشريف — طرابلس — لبنان .
٦٤ — « محمود سعيد — اللاذقية .
٦٥ — « محمود على سلحى — طرابلس — لبنان .
٦٦ — « مسعود صالح حلوم — الرستن — اللاذقية .
٦٧ — « معلى محمد عبد الرحمن .
٦٨ — « منصور صالح عمران — صافيتا .
٦٩ — « معروف بدر — الشامية — اللاذقية .
٧٠ — « نصر الدين زيفا — مقيم فى دمشق .
٧١ — « ياسين محمد اليونس — مقيم فى طرطوس .

٧٢ — الشيخ ياسين عبد الكريم محمد — المصطبة — صافيتا :

٧٣ — » يوسف حسن يوسف — طرابلس — لبنان .

٧٤ — » يوسف حلوم — شبطلية — مجاز من كلية الشريعة بدمشق .

٧٥ — » يوسف صارم — اللاذقية .

٧٦ — » يوسف إبراهيم اليونس — صافيتا .

٧٧ — » يونس حسن خدام ! !

٧٨ — » يونس محمد — بيت نافلة — دريكيش .

٧٩ — » يوسف غانم الخطيب — طرابلس — لبنان .

طائفة النصيرية فى الميزان

سنرى فى هذا الفصل .. رأى بعض الفرق فى طائفة النصيرية .:
ثم نورد رأى الإسلام الصائب فى هذه الطائفة الضالة .. على لسان
شيخ الإسلام — تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله ..

(أ) النصيريون فى ميزان الشيعة الإسماعيلية :

الشيعة الإسماعيلية : طائفة من الشيعة الإمامية .. توالى الذين
تواليهم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية إلى جعفر الصادق .. ثم يفترقون
بعده .

فبينما تسوق الإمامية الإثنا عشرية الإمامة إلى — موسى الكاظم
تقول الشيعة الإسماعيلية بأن الإمام جعفر الصادق نص على أن يتولى
ولده الأكبر إسماعيل .. الإمامة من بعده .. فحصل بينهما الشقاق
والافتراق . ومع اعتقادى بأن الشيعة الإسماعيلية بفرقها الثلاث
المعاصرة وهى : — الدروز — الإسماعيلية النزارية (البهرة) —
الإسماعيلية الأغاخانية ضالة مضلة .. إلا أننى لم أر أى مانع من
ذكر رأى فقيه الإسماعيلية — قاضى القضاة — النعمان بن محمد
المغربى — فى طائفة النصيرية وغيرها من الفرق الباطنية الغالية ..
حيث يقول فى كتابه (دعائم الإسلام) ما نصه :

« أئمة الهدى — صلوات الله عليهم ورحمته وبركاته — خاق من

خلق الله .. جل جلاله . وعباد مصطفون من عباده ، افترض طاعة كل إمام منهم على أهل عصره ، وأوجب عليهم التسليم لأمره ! وجعلهم هداة خلقه إليه ، وأدلاء عباده عليه ، وقرن طاعتهم فى فى كتابه بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله ، وهم حجج الله على خلقه ، وخلفاؤه فى أرضه ليسوا كما زعم الضالون المفترون بآلهة غير مربوبين .. ولا بأنبياء مرسلين ، ولا يوحى إليهم كما يوحى إلى النبيين ولا يعلمون الغيب الذى حجبه الله عن خلقه ، ولم يطلع أنبياءه منه إلا على ما أطلعهم عليه ، لا كما زعم المفترون فيهم والمبطلون ، الكاذبون عليهم ، تعالى الله جل ذكره ، ونزه أولياءه عن مقال الملحدين ، وإفك المكذبين الضالين المفترين » . (١)

وقال أيضاً :

(فمن ذلك ما روينا عن على بن أبى طالب أن قوماً من أصحابه وممن كان قد بايعه وتولاه ودان بإمامته ، مرقوا عنه ، ونكثوا عليه ، وقسطوا فيه ، فقاتلهم أجمعين فهزم الناكثين ، وقتل المارقين ، وجاهد القاسطين ، وقتلهم وتبرأوا منه وبرئ منهم ، وأن قوماً غلوا فيه لما استدعاهم الشيطان بدواعيه فقالوا : هو النبى .. وإنما غلط جبريل به .. وإليه كان أرسل .. فأتى محمداً صلى الله عليه وسلم .. فيالها من عقول ناقصة ، وأنفس خاسرة وآراء واهية .. ولو أن أحداً بعث رسولا بقصعة من تمر إلى رجل

---

(١) دعائم الإسلام ج ١ ، ص ٥٧ — ٥٨ .

فأعطاه غيره لما استجاز فعله ، ولعوض المرسل إليه مكانه ، أو استرده إليه ممن قبضه ، فكيف يظنون مثل هذا الظن الفاسد برب العالمين ، وبجبرائيل الروح الأمين . وهو ينزل أيام حياة الرسول بالوحى إليه ، وبالقرآن الذى أنزل عليه ثم يقولون هذا القول العظيم ، ويفترون مثل هذا الافتراء المبين ، بما سول لهم الشيطان ، وزين لهم من البهتان والعدوان) (١) .

(ب) فى ميزان الشيعة الإمامية الإثنى عشرية :

تعتبر النصيرية والدروز والنزارية والأغاخانية وغيرهم من الغلاة .. لأنهم يمارون فى ألوهية الله . . ويشركون معه غيره .. أو لادعائهم بحلول الله فى أئمتهم .. فقال (الصدوق القمى — أستاذ الشيخ المفيد) ما نصه : « اعتقادنا فى الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله جل اسمه ، وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ، ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلة وأنهم ما صغر الله جل جلاله تصغيرهم بشىء كما قال الله : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون .. ؟ ! ﴾ (٢) .

---

(١) دعائم الإسلام جـ ١ ، ص ٦٠ — ٦١ .
(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٤٦ .

(ج) النصيريون فى ميزان أهل السنة والجماعة :

يرى أهل السنة والجماعة أن النصيريين لا يقلون خطراً عن خطر اليهود والنصارى وخطر الجماعات والأحزاب المرتبطة بهم .. بل هم أشد خطراً لأن أولئك بادية عداوتهم ، أما النصيريون فهم مندسون بيننا يتسمون بأسمائنا ، وخطرهم خاف عن أعين الكثير من أبناء الأمة ، والعدو الحقيقى أشد إيذاء من العدو الظاهر ..

واقرأ معى نص السؤال الذى وجهه الشيخ العلامة : (شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمود بن مرى الشافعى - رحمه الله -) للإمام المحقق المجتهد .. (تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية - رحمه الله) ، عن الطائفة النصيرية وما يتعلق بهم ..

يقول السؤال :

« ما تقول السادة العلماء أئمة الدين - رضى الله عنهم أجمعين ، وأعانهم على إظهـار الحق المبين ، وإخماد شغب المبطلين - فى النصيرية القائلين باستحلال الخمر ، وتناسخ الأرواح ، وقدم العالم وإنكار البعث والنشور .. والجنة والنار فى غير الحياة الدنيا ، وبأن الصلوات عبارة عن خمسة أسماء وهى : - (على - وحسن - وحسين - ومحسن - وفاطمة) .. فذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم .. يجزئهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات وواجباتها ، وبأن الصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين

رجلا واسم ثلاثين امرأة يعدونهم فى كتبهم ، ويضيق هذا الموضع عن إيرادهم . وبأن إلههم الذى خلق السموات والأرض هو — على ابن أبى طالب — رضى الله عنه — فهو عندهم الإمام فى الأرض .. والإله فى السماء . . فكانت الحكمة فى ظهور اللاهوت بهذا الناسوت (أى حلول الإله فى الجسد الإنسانى) على رأيهم .. ليؤنس خلقه وعبيده ، وليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه وبأن النصيرى عندهم لا يصير نصيرياً مؤمناً يجالسونه . ويشربون معه الخمر ، ويطلعونه على أسرارهم ، ويزوجونه من نسائهم ، حتى يخاطبه معلمهم .. وحقيقة الخطاب عندهم : أنهم يحلفونه على كتمان دينهم ، ومعرفة مشايخه ، وإكبار أهل مذهبه ، على أن لاينصح مسلماً ولا غيره ، إلا من كان من أهل دينه ، وعلى أن يعرف ربه وإمامه بظهوره فى الأكوار والأدوار .. فيعرف انتقال الاسم والمعنى فى كل حين وزمان .

(ا) فالاسم عندهم فى أول الناس .. آدم .. والمعنى هو هابيل .

(ب) وفى شخص نوح كان المعنى باسم شيث .

(ج) وفى شخص يعقوب باسم يوسف .

(د) وفى شخص موسى باسم يوشع .

(هـ) وفى شخص سليمان باسم آصف .

(و) وفى شخص عيسى باسم باطرة (أى بطرس) .

(ز) وفى شخص محمد باسم على .

« أى أن المعنى وهو الله كان محتجباً بسيدنا آدم .. وكان اسمه فى عهد آدم هابيل ... وفى زمن سيدنا يعقوب كان الإله محتجباً به وكان اسمه آنذاك يوسف .. وفى زمن سيدنا محمد احتجب الإله فيه وكان اسمه على .. وهكذا » ويستدلون على كلامهم المزعوم بما فى القرآن الكريم حكاية عن يعقوب ويوسف – عليهما السلام – فيقولون : أما يعقوب فإنه كان (الاسم) فما قدر أن يتعدى منزلته فقال : ﴿ سوف أستغفر لكم ربى ﴾ . وأما يوسف فكان (المعنى) المطلوب فقال :﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ ، فلم يعلق الأمر بغيره .. لأنه علم أنه هو الإله المتصرف .

ويجعلون موسى هو (الاسم) ويوشع هو (المعنى) ويقولون يوشع ردت له الشمس لما أمرها فأطاعت أمره ، وهل ترد الشمس إلا لربها . .

ويجعلون سليمان هو الاسم وآصف هو (المعنى) ويقولون : سليمان عجز عن إحضار عرش بلقيس .. وقدر عليه آصف . لأن سليمان كان (الاسم) ... وآصف كان (المعنى) القادر المقتدر. وقد قال قائلهم :

هابيل شيث يوسف يوشع آصف شمعون الصفا حيدر

ويعدون الأنبياء والمرسلين واحداً واحداً على هذا النمط .. إلى زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : محمد – هو الاسم – وعلى : هو المعنى – ويوصلون العدد على هذا الترتيب فى كل زمان إلى وقتنا هذا .

فمن حقيقة الخطاب عندهم والدين .. أن نعلم أن — علياً — هو (الرب) وأن (محمداً) هو (الحجاب) . وأن (سلمان الفارسى) هو (الباب) [1] .

وأنشد بعض أكابر رؤسائهم وفضلائهم لنفسه فى شهور سنة سبعمائة فقال :

أشهــد أن لا إله إلا	على الأنزع البطـين
ولا حجاب عليــه إلا	محمد الصــادق الأمين
ولا طريق إليــه إلا	سلمان ذو القوة المتين

وكذلك الخمسة الأيتام [2] (أى الذين لا مثيل لهم) والإثنا عشر نقيباً ، وأسماؤهم معروفة عندهم وفى كتبهم الخبيثة .. لا يزالون يظهرون مع (الرب والحجاب والباب) فى كل كور ودور أبداً سرمداً على الدوام .

وإن إبليس الأبالسة هو : عمر بن الخطاب .. (لعنهم الله وأخزاهم) ودونه فى الإبليسية : أبو بكر ثم عثمان — رضى الله عنهم

---

(١) لاحظ هذا الثالوث الذى يعتقده النصيريون تماماً كثالوث النصارى . وهو مكون من :

١ — المعنى (الأب) أو الغيب المطلق وهو (الله — على) .

٢ — الإسم (الابن) أو صورة المعنى وهو (محمد) .

٣ — الباب (روح القدس) للوصول إلى المعنى وهو (سلمان الفارسى) .

(٢) الأيتام الخمسة هم : المقداد بن الأسود ، أبو ذر الغفارى ، عبد الله ابن رواحة الأنصارى ، عثمان بن مظعون ، قنبر بن كادان الدوسى .

أجمعين ونزههم وأعلى رتبهم عن أقوال الملحدين وانتحال الغالين المفسدين ... ولا يزالون فى كل وقت ملعونين حيثما ذكروا .

ومذاهبهم الفاسدة شعب وتفاضيل ترجع إلى هذه الأصول المذكورة .

وهذه الطائفة الملعونة ، استولت على جانب كبير من بلاد الشام ، فهم معروفون مشهورون يتظاهرون بهذا المذهب وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم ، وعامة الناس أيضاً فى هذا الزمان . . لأن أحوالهم كانت مستورة عن كثير من الناس وقت استيلاء الإفرنج المخذولين على البلاد الساحلية . فلما كان أيام الإسلام « أى عندما عادت دولة الإسلام إلى هذه البلاد » انكشف حالهم ، وظهر ضلالهم ، والابتلاء بهم كثير جداً والحالة هذه .

فهل يجوز لمسلم أن يزوجهم أو يتزوج منهم ؟ وهل يجوز أكل ذبائحهم والحالة هذه أم لا ؟ وما حكم الجبن المعمول من أنفحة (١) ذبيحتهم ؟ وما حكم أوانيهم وملابسهم أيضاً ؟ وهل يجوز دفنهم بين المسلمين أم لا ؟

وهل يجوز استخلافهم فى ثغور الإسلام وتسليمها إليهم أم لا ؟

وهل يجب على ولى الأمر قطعهم واستخدام غيرهم من المسلمين الكفاة ؟

---

(١) الأنفحة : مادة تستخلص من معدة الخروف أو الماعز الصغير وتوضع على الحليب المعد لصنع الجبن . . فيساعد على تخثر الحليب .

وهل يأثم إذا أخذ فى طردهم واستخدام غيرهم ؟ أم يجوز له التمهل مع أنه فى عزمه ذلك ؟

وإذا جاهدهم ولى الأمر — أيده الله تعالى — لإخماد باطلهم وقطعهم من حصون المسلمين (أى صرفهم عن حراستها) وحذر أهل الإسلام من مناكحتهم وأكل ذبائحهم ، وأمرهم بالصوم والصلاة ومنعهم من إظهار دينهم الباطل — وهو بعينه من الكفر — هل ذلك أفضل وأكثر جزاء من التصدى والترصد لقتال التتار فى بلادهم ، وهدم بلاد الفرنسيس وديار الإفرنج على أهلها ؟ أم هذا أفضل ؟ .

وهل يعد مجاهد النصيرية المذكورين مرابطاً .. ويكون أجره كأجر من رابط فى الثغور على ساحل البحر خشية قصد الإفرنج أم هذا أكثر جزاء ؟

وهل يجب على من عرف المذكورين ومذهبهم أن يشهر أمرهم ويساعد على إبطال باطلهم وإظهار الإسلام بينهم ، فلعل أن الله يجعل ذريتهم وأولادهم مسلمين ، أم يجوز له التغافل والإهمال ؟

وما أجر المجتهد على ذلك ، والمجاهد فيه والمرابط والعازم عليه ؟

ابسطوا القول فى ذلك مثابين مؤيدين مأجورين — إن شاء الله تعالى — إنه على كل شىء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل [1] . انتهى السؤال .

---

(١) انظر (النصيرية طغاة سورية) ، أصدرتها دار الإفتاء بالرياض .

جواب الشيخ تقى الدين بن تيمية :

« الحمد لله رب العالمين .. هؤلاء القوم الموصوفون بالنصيرية ، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية . . أكفر من اليهود والنصارى .. بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم .. أعظم من ضرر الكفار المحاربين ، مثل كفار التتار والإفرنج وغيرهم ، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت . وهم فى الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله .. ولا بكتابه ، ولا بأمر ولا نهى ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار . . ولا بأحد من المرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا بملة من الملل السابقة ، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يُقرّونها ، ويدعون بأنها علم الباطنية .. من جنس ما ذكر السائل .. ومن غير هذا الجنس ، فإنهم ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد فى أسماء الله تعالى وآياته ، وتحريف كلام الله ورسوله عن مواضعه ، إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق ، مع التظاهر بأن هذه الأمور حقائق يعرفونها هى من جنس ما ذكره السائل . ومن جنس قولهم إن (الصلوات الخمس) . معرفة أسرارهم

والصيام المفروض : كتمان أسرارهم .

وحج البيت العتيق : زيارة شيوخهم .

وأن (يدا أبى لهب) هما : أبو بكر وعمر .

وأن (النبأ) العظيم والإمام المبين هو : على بن أبى طالب .

ولهم فى معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة ، وكتب مصنفة فإذا كانت لهم مُكنَة (أى تمكنوا واستطاعوا) سفكوا دماء المسلمين (كما هو حاصل فى لبنان وفى تل الزعتر) (و) كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم فى بئر زمزم ، وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقى معهم مدة [1] وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم وصدورهم من لا يحصى عددهم إلا الله تعالى . وصنفوا كتباً كثيرة فيها ما ذكر السائل وغيره ، وصنف علماء المسلمين كتباً فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم ، وبينوا ماهم عليه من الكفر والزندقة . وبالإلحاد الذى هم فيه : أكفر من اليهود والنصارى ، ومن براهمة الهند .. الذين يعبدون الأصنام . وما ذكر السائل من وصفهم قليل من الكثير الذى يعرفه العلماء من وصفهم .

ومن المعلوم عندهم (أى عند هؤلاء العلماء) أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم ، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصارى على المسلمين (كما هو حاصل فى لبنان هذه الأيام) . ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ، ومن أعظم المصائب عندهم كذلك فتح المسلمين الساحل وقهر النصارى . . ومن أعظم أعيادهم إذا استولى — والعياذ بالله — النصارى (وكذلك اليهود) على ثغور المسلمين .

(١) لم يفعل النصيريون ذلك فى الواقع . . ولكن إذا استمروا فى حكمهم لسورية وقويت شوكتهم فقد يفعلوا ذلك . . أما الذى قتل الحجاج واقتلع الحجر الأسود فهم القرامطة الإسماعيليون والنصيريون إماميون . . وبين الطائفتين ما صنع الحـــداد .

فإن ثغور المسلمين لم تزل بأيدى المسلمين – حتى جزيرة قبرص التى فتحها المسلمون فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بقيادة معاوية بن أبى سفيان – إلى أن أتت المائة الرابعة .. فإن هؤلاء المحادين (أى المعادين) لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها ، فاستولى النصارى على الساحل بسببهم ، ثم استولوا على القدس وغيره . . فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب « أى المؤدية إلى استيلاء النصارى على سواحل الشام والقدس » . .

ثم لما أقام الله ملوك الإسلام ، كنور الدين الشهيد (نور الدين زنكى) وصلاح الدين (الأيوبى) وأتباعهما ، وفتحوا (أى طهروا) الساحل من النصارى وممن كان بها منهم ، فتحوا أيضاً أرض مصر فإنهم كانوا (يقصد الإسماعيليين الفاطميين) مستولين عليها نحو مائتى سنة واتفقوا هم والنصارى (الأقباط) فجاهدهم المسلمون حتى أنهم فتحوا البلاد . ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام فى البلاد المصرية والشامية .

ثم إن التتار إنما دخلوا بلاد الإسلام ، وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين بمعاونتهم ومؤازرتهم (١) فإن منجم هولاكو – سلطان التتار – والذى كان وزيره النصير الطوسى – بقلعة آلحوت – هو الذى أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء .

ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون الملاحدة ،

---

(١) انظر كتاب (نصير الدين الطوسى ص ٤٨ ، والخطوط العريضة ص ٢٨ – ٢٩ ، وغارة التتار على العالم الإسلامى) .

وتارة يسمون الإسماعيلية ، وتارة يسمون القرامطة ، وتارة يسمون الباطنية وتارة يسمون الخرمية ، وتارة يسمون المحمرة « هذه الأوصاف والألقاب فى الحقيقة تطلق على الإسماعيلية وليس على النصيرية باستثناء اللقب الأول الملاحدة » وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم ، كما أن اسم الإسلام والإيمان يعم المسلمين ، ولبعضهم اسم يخصهم ، إما لنسب وإما لبلد وإما لغير ذلك . وشرح مقاصدهم يطول ، كما قال العلماء فيهم : ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض .

وحقيقة أمرهم : أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين لا بنوح ، ولا بإبراهيم ، ولا موسى ولا عيسى ولا محمد — صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . — ولا بشيء من كتب الله المنزلة .. لا التوراة ولا الإنجيل ولا القرآن .. « يقصد بالطبع التوراة التى أنزلت على سيدنا موسى والإنجيل النازل على سيدنا عيسى ، لا هذه الكتب المزورة والمزيفة التى بين أيدى اليهود والنصارى هذه الأيام . فهى ليست من كتب الله وليست منزلة » . ولا يقرون بأن للعالم خالقاً خلقه ، ولا بأن له ديناً أمر به ، ولا أن له داراً (أخرى) يجزى الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار . وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب المتفلسفة الطبيعية أو الإلهيين .. كما فعل أصحاب رسائل — إخوان الصفا — فإنهم تارة يبنونه على قول المتفلسفة وغرض المجوس الذين يعبدون النور .. ويضحون إلى درك الكفر والرفض . ويحتجون لذلك من كلام النبوات ، إما بلفظ يكذبون

به — ينقلونه ، كما ينقلون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أول ما خلق الله العقل فقال له : أقبل .. فأقبل .. ثم قال له : أدبر فأدبر) . فيحرفون لفظه ويقولون : (أول ما خلق الله العقل) ليوافق قول المتفلسفة أتباع أرسطو فى أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل .

وإما بلفظ ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم يحرفونه عن مواضعه كما يضع أصحاب (رسائل إخوان الصفا) والإلهيون ونحوهم فإنهم من أمتهم . وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار ذلك فى كتب فريق من المنتسبين إلى العلم والدين ، وإن كانوا لا يوافقونهم على أصول كفرهم فإن هؤلاء لهم فى إظهار دعوتهم الملعونة التى يسمونها — الدعوة الهادية — درجات متعددة ، ويسمون نهاية ذلك البلاغ الأكبر والناموس الأعظم . ويضمون إلى البلاغ الأكبر : جحد الخالق تعالى ، والاستهزاء به ، وبمن يقر به ، حتى قد يكتب أحدهم اسم الله تعالى فى أسفل رجله ، وفيه أيضاً جحد شرائعه ودينه ، وجحد ما جاء به الأنبياء . والدعوى أنهم كانوا من جنسهم طالبين للرئاسة ، فمنهم من أحسن فى طلبها ، ومنهم من أساء حتى قتل ، ويجعلون محمد صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام من القسم الأول . ويجعلون المسيح من القسم الثانى . وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ومن تحليل نكاح ذوات المحارم وسائر الفرائض ما يطول وصفه .

ولهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضاً ، وهم إذا كانوا فى بلاد الإسلام التى يكثر فيها أهل الإيمان فقد يخفون على من لا يعرفهم ، وقد اتفق علماء المسلمين على أن مثل هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم ، ولا يتزوج منهم إمرأة ، ولا تباح ذبائحهم . وأما الجبن المعمول بأنفحتهم ففيه قولان مشهوران : فمذهب أبي حنيفة وأحمد فى إحدى الروايتين : أنه يحل هذا الجبن لأن أنفحة الميت طاهرة على هذا القول . . وهو أن الأنفحة لا تموت بموت البهيمة . وملاقاة الوعاء النجس فى الباطن لا ينجس .

ومذهب مالك والشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى .. أن هذا الجبن نجس ، لأن الأنفحة عند هؤلاء نجسة ، لأن لبن الميتة وأنفحتها عندهم نجسة ، ومن لا تؤكل ذبيحته . فذبيحته كالميتة وكل من أصحاب القولين يحتج بآثار ينقلها عن الصحابة .

وأصحاب القول الأول نقلوا أنهم أكلوا جبن المجوس ، وأصحاب القول الثانى نقلوا أنهم إنما أكلوا ما كانوا يظنونه من جبن النصارى فهذه مسألة اجتهاد ، فللمقلد أن يقلد من يفتى بأحد القولين .

وأما أوانيهم وملابسهم فكأوانى المجوس وملابس المجوس ، على ما عرف من مذاهب الأئمة ... والصحيح فى ذلك : أن أوانيهم لا تستعمل إلا بعد غسلها ، لأن ذبائحهم ميتة ، فلابد أن يصيب أوانيهم المستعملة عادة .. نجاسة من ذبائحهم ، وأما الآنية التى لا يغلب على الظن وصول النجاسة إليها فتستعمل بغير غسل . وقد

توضأ – عمر بن الخطاب – رضى الله عنه .. من جرة نصرانية .. وما شك فى نجاسته لم يحكم بنجاسته بالشك . ولا يجوز دفنهم فى مقابر المسلمين ، ولا يصلى على من مات منهم ، فإن الله سبحانه نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين .. كعبد الله بن أبىّ ونحوه .. وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والجهاد مع المسلمين ، ولا يظهرون مقالات تخالف دين المسلمين . لكن يسرون ذلك .. فقال الله تعالى : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ فكيف هؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والإلحاد .

وأما استخدام مثل هؤلاء فى ثغور المسلمين أو حصونهم وجندهم فهو من الكبائر بمنزلة استخدام الذئاب لرعى الغنم . فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمرهم ، ومن أحرص الناس على فساد الملة والدولة – وهم من أحرص الناس على تسليم الحصون إلى أعداء المسلمين ، فالواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة ، فلا يتركون فى ثغر ولا فى غير ثغر ، فإن ضررهم فى الثغر أشد ، وأن يستخدم بدلا منهم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الإسلام .. وعلى النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، بل إذا كان ولى الأمر لا يستخدم من يغشه وإن كان مسلماً .. فكيف بمن يغش المسلمين كلهم . ولا يجوز له تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه ، بل أى وقت قدر على الاستبدال بهم وجب عليه ذلك .

وأما إذا استخدموا وعملوا العمل المشروط عليهم ، فلهم إما المسمى ، وإما أجرة المثل .. لأنهم عوقدوا على ذلك .

فإن كان العقد صحيحاً وجب المسمى . وإن كان فاسداً وجب أجرة المثل .

وإن لم يكن استخدامهم من جنس الإجارة اللازمة ، فيعد من جنس الجعالة الجائزة لكن هؤلاء (النصيريين) لا يجوز استخدامهم فالعقد عقد فاسد فلا يستحقون إلا قيمة عملهم . فإن لم يكونوا عملوا عملا له قيمة فلا شيء لهم . لكن دماءهم وأموالهم مباحة ، وإذا أظهروا التوبة ففى قبولها منهم نزاع بين العلماء .. فمن قبل توبتهم إذا التزموا شريعة الإسلام أقروهم على أموالهم ، ومن لم يقبلها .. وورثتهم من جنسهم .. فإن مالهم يكون فيئاً لبيت المال . لأن هؤلاء إذا أخذوا فإنهم يظهرون أقوالا ضد مذاهبهم السفيهة .

وفيهم من يعرف أصول مذهبه وفيهم من لا يعرف .. فالطريق فى ذلك أن يحتاط فى أمرهم ، فلا يتركوا مجتمعين ، ولا يمكنوا من حمل السلاح وأن يكونوا من المقاتلة . ويلزموا شرائع الإسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ويترك بينهم من يعلمهم دين الإسلام ، ويحال بينهم وبين معلمهم .

فإن أبا بكر الصديق — رضى الله عنه — وسائر الصحابة لما ظهروا على أهل الردة . . وجاءوا إليه قال لهم الصديق : اختاروا منى إما الحرب المجلية ، وإما السلم المخزية قالوا : يا خليفة رسول الله ، هذه الحرب المجلية قد عرفناها فما السلم المخزية ؟ قال :

تودون قتلانا (أى تدفعون دية قتلانا) ولا نرى قتلاكم ، وتشهدون أن قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ، ونغنم ما أصبنا من أموالكم ، وتردون ما أصبتم من أموالنا ، وتنزع منكم الحلقة والسلاح ، وتمنعون من ركوب الخيل ، وتتركون تتبعون أذناب الإبل ، حتى يرى خليفة رسول الله والمؤمنون فيكم أمراً .. فوافقه الصحابة فى ذلك إلا فى تضمين قتلى المسلمين ، فإن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال له : هؤلاء قتلوا فى سبيل الله وأجورهم على الله . . يعنى : هم شهداء فلا دية لهم .. فاتفقوا على قول عمر فى ذلك .

وهذا الذى اتفق الصحابة عليه هو مذهب أئمة العلماء والذين تنازعوا فيه .. تنازع فيه العلماء .

فمذهب أكثرهم أن من قتله المرتدون المجتمعون المحاربون لا يضمن كما اتفقوا عليه آخراً .. وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد فى إحدى الروايتين . ومذهب الشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى هو القول الأول .

فهذا الذى فعله الصحابة بأولئك المرتدين بعد عودهم إلى الإسلام يفعل بمن أظهر الإسلام ، والتهمة ظاهرة فيه فيمنع أن يكون من أهل الخيل والسلاح والدروع التى تلبسها المقاتلة ، ويلزمون بشرائع الإسلام حتى يظهر ما يفعلونه من خير وشر . ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة أخرج عنهم ، وسير إلى بلاد المسلمين التى ليس لهم بها ظهور ، فإما أن يهديه الله تعالى ، وإما أن يموت على نفاقه من غير مضرة للمسلمين .

ولا ريب أن جهاد هؤلاء ، وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات ، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين ، وأهل الكتاب ، فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين . والصديق رضى الله عنه ، وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب ، لأن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه .

وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدين . وحفظ رأس المال مقدم على الربح ..

وأيضاً فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك .. بل ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب ، وضررهم فى الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب .

وعلى كل مسلم أن يقوم فى ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب ، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم ، بل يفشيها ، ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ، ولا يحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم فى الجند والمستخدمين . ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام عليهم بما أمر الله ورسوله ، فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والجهاد فى سبيل الله تعالى .. وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ﴾ .

والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى . فإن المقصود بالقصد الأول : هو هدايتهم كما قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

قال أبو هريرة : كنتم خير الناس للناس ، تأتون بهم فى القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الإسلام .

فالمقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هداية العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسب الإمكان . فمن هداه الله منهم سعد فى الدنيا والآخرة ، ومن لم يهتد كف الله ضرره عن غيره .

ومعلوم أن الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو أفضل الأعمال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » . وقال صلى الله عليه وسلم « رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، والجهاد أفضل من الحج والعمرة » .

ومن مات مرابطاً .. مات مجاهداً .. وجرى عليه عمله ، وأجرى عليه رزقه من الجنة ، وأمن الفتنة ، والجهاد أفضل من الحج والعمرة كما قال تعالى :

﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ، لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل

الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون .
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم .
خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم ﴾ صدق الله العظيم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين » (١) .

وبعـــد :

أرجو أن أكون بعملى هذا قد هتكت آخر ستار تتلفع به هذه الطغمة الحاقدة ، لتبدو على حقيقتها أمام أعين المسلمين — رعاة ورعية — وكل صاحب ضمير حى يتمتع بصفات الإنسانية ... فيقفوا معنا سنداً وعوناً بكل ما يستطيعون مدينين النظام الديكتاتورى النصيرى البغيض قاطعين عنه كل وسائل الاستمرار والبقاء .

أما أنتم أيها الإخوة المسلمون .. ثقوا بأن الله معكم .. وناصركم لأنكم تريدون نصرة دينه ، وإعلاء كلمته ..

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) انظر كتاب (النصيرية طغاة سورية) ، وانظر مجلة الجمعية الأسيوية الفرنسية حيث نشر المستشرق الفرنسى جويار نص هذه الفتوى لأول مرة فى المجلة الآسيوية سنة ١٨٧١م .

المراجع

١ – الأعلام – خير الدين الزركلي ج ٣ ، ط ١ ، دمشق .

٢ – الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني ج ٥ ، دار الكتب المصرية – القاهرة .

٣ – الألوهية في المعتقدات الإسلامية – الكتاب الخامس ، فاروق الدملوجي – بغداد .

٤ – أتحدى وأتهم – سامي الجندي – بيروت .

٥ – الحركات الباطنية في الإسلام – مصطفى غالب – بيروت .

٦ – الخوارج والشيعة – يوليوس فلهوزن – ترجمة د. عبد الرحمن بدوي . ط ٢ – وكالة المطبوعات بالكويت .

٧ – الخطوط العريضة – محب الدين الخطيب – المكتبة السلفية بالقاهرة .

٨ – الخطر المحيط بالإسلام – جواد رفعت آتلخان – ترجمة وهبي عز الدين – بغداد .

٩ – أربعة كتب إسماعيلية – (وتتضمن المجموعة عدة رسائل سرية) عني بتصحيحها المستشرق الألماني (ر. شتروطمان) – مكتبة المثنى – بغداد .

١٠ – إسلام بلا مذاهب – د. مصطفى الشكعة – بيروت .

١١ – استحقاق الإمامة – للجاحظ – على هامش الجزء الثاني من كتاب الكامل للمبرد ، ص ٢٦٩ – القاهرة ١٣٢٤هـ .

١٢ – السيادة العربية – فان فلوتن – ترجمة : حسن إبراهيم ومحمد زكي إبراهيم ، ط ٢ ، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥ .

١٣ – الشيعة بين الحقائق والأوهام – السيد محسن الأمين ، ط ٢ – بيروت .

١٤ – شرح العقيدة الطحاوية ، ط ٣ ، المكتب الإسلامي – دمشق .

١٥ – الصلة بين التصوف والتشيع ، د. مصطفى كامل الشيبي ، ط ٢ ، دار المعارف – القاهرة .

١٦ – الصراع على سورية – باتريك سيل – ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة ، سنة ١٩٦٨ – بيروت .

١٧ – العقائد – عمر عنايت – ط ١ ، المصور – القاهرة .
١٨ – الفخرى فى الآداب السلطانية – ابن طباطبا العلوى – القاهرة سنة ١٣١٧هـ.
١٩ – الفرق بين الفرق – عبد القاهر البغدادى – تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة .
٢٠ – الفرق الإسلامية (ذيل كتاب شرح المواقف للكرمانى) ، تحقيق سليمة عبد الرسول – بغـــداد .
٢١ – الفصل فى الملل والأهواء والنحل – ابن حزم على بن محمد الظاهرى – مصر ١٩٦٤ ، وبهامشه : الملل والنحل – للشهرستانى أبو الفتح محمد ابن عبد الكريم .
٢٢ – المكزون السنجارى ومعرفة الله – د. أسعد على – بيروت .
٢٣ – الإنسان الكامل فى الإسلام – د. عبد الرحمن بدوى – القاهرة ١٩٥٠ .
٢٤ – النصيرية طغاة سورية – رسالة أصدرتها دار الإفتاء بالرياض .
٢٥ – الهفت الشريف – تحقيق وتقديم مصطفى غالب – بيروت .
٢٦ – تاريخ الأمم والملوك – أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، مصر ١٣٢٣هـ.
٢٧ – تاريخ الإسلام السياسى – حسن إبراهيم حسن ، ج ٤ – القاهرة .
٢٨ – تاريخ العلويين – محمد أمين غالب الطويل ، ط ١ – بيروت .
٢٩ – تاريخ العرب المطول – د. فيليب حتّى ، ج ٢ ، ط ٢ – بيروت .
٣٠ – تاريخ الفرقة الزيدية – د. فضيلة الشامى – النجف ١٩٧٦ .
٣١ – تاريخ التمدن الإسلامى – جورجى زيدان ، مطبعة الهلال – القاهرة .
٣٢ – تاريخ الماسونية العام – جورجى زيدان ، ط ٢ ، ١٩٢٠ – القاهرة .
٣٣ – تاريخ الخلفاء – جلال الدين السيوطى ، ط دمشق – ١٣٥١هـ .
٣٤ – تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة – أبو الريحان البيرونى – حيدر آباد ، الدكن – الهند ١٩٥٨ .
٣٥ – خطط الشام – محمد كرد على ، ج ٣ ، ج ٦ – دمشق .
٣٦ – دائرة المعارف الإسلامية المختصرة ، لندن – سنة ١٩٦١ .
٣٧ – دائرة معارف محمد فريد وجدى ، ج ١٠ – القاهرة .
٣٨ – دراسات فى الفرق والعقائد الإسلامية – د. عرفان عبد الحميد ، دار التربية – بغداد سنة ١٩٧٧ .

٣٩ – دعائم الإسلام – للقاضى النعمان بن محمد المغربى ، الفقيه الإسماعيلى ، ج ١ ، ط ١ ، دار المعارف – القاهرة .
٤٠ – صبح الأعشى فى صناعة الإنشا – أبو العباس أحمد القلقشندى ، ج ٢ – القاهرة ١٩١٣ .
٤١ – طائفة الدروز – د. محمد كامل حسين ، دار المعارف – القاهرة .
٤٢ – عرب ويهود – د. سامى الجندى ، دار النهار – بيروت .
٤٣ – عقائد الشيعة الإمامية – ابن بابويه القمى – طهران ١٣٧٠هـ .
٤٤ – غارة التتار على العلم الإسلامى – رسالة لأبى الحسن الندوى ، دار الأنصار – القاهرة .
٤٥ – فتوح البلدان – أبو جعفر أحمد بن يحيى البغدادى البلاذرى ، ج ١ ، ط مصر ١٣٥٠هـ .
٤٦ – فرق الشيعة – أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى دار الفكر – بيروت .
٤٧ – فرقة الأزارقة – محمد رضا حسن الدجيلى – مطبعة النعمان – النجف ١٩٧٧ .
٤٨ – مباحث فى علم الكلام والفلسفة – د. على الشابى – تونس .
٤٩ – مذهب الدروز والتوحيد – عبد الله النجار ، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٥
٥٠ – مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط فى المقالات ، حققها وقدم لها يوسف فان إس – بيروت ١٩٧١ .
٥١ – مقالات الإسلاميين – أبو الحسن الأشعرى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط ٢ – القاهرة .
٥٢ – مروج الذهب – أبو الحسن على المسعودى – القاهرة .
٥٣ – مذكرات محمد على الطاهر (أو معتقل هاكستب) – القاهرة .
٥٤ – مذاهب الإسلاميين ، د. عبد الرحمن بدوى ، ج ٢ ، ط ١ ، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٣ .
٥٥ – مقدمة ابن خلدون ، ط ١ بالمطبعة الخيرية – مصر .
٥٦ – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ٣ أجزاء ، د. على سامى النشار ، ط ٣ ، دار المعارف – القاهرة .
٥٧ – نصير الدين الطوسى ، د. عبد الأمير الأعسم ، منشورات عويدات – بيروت . وغير ذلك من النشرات والدوريات المختلفة .

فهرس الموضوعات